

الباب الثاني

(آفات النفاق، وخصال
المنافقين)

من خلال القرآن والسنة

من خلال استقراء آيات الله البينات، وأحاديث النبي المباركات، يمكننا التعرف على آفات النفاق، وخصال المنافقين، وبيانها كما يلي:

الخصلة الأولى

(الكذب في الحديث، وكثرة الحلف)

وقد أكد القرآن الكريم هذه الصفة في عدة مواضع، منها:

• قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾﴾ (الفتح).

• وقوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ﴾ (٤٣) (التوبة).

• وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ (٦٢) ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (٦٣) (النساء).

كان المنافقون يُعْرِضُونَ عن حكم الله ورسوله، ويتحاكمون إلى غيره، حتى إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم من الإثم والعدوان، واحتاجوا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك، كانوا يأتون إليه مُتَقَسِّمِينَ أنهم ما أرادوا بهذا التحاكم إلى أعدائه إلا إحسانًا وتوفيقًا، بأن يداروهم، ويصادقوهم، وهذا كذب واضح، ونفاق بينٌ.

• وقال تعالى: ﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيْتَهُمْ لِمَنْكُمُ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ (التوبة).

وهذا من أقبح الكذب، لأنه كذب في الإيـان والعقيدة، وقد بين الله تعالى لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وللمؤمنين أن المنافقين هم قوم اتَّصَفُوا بالكذب، حتى لا يغتروا بالإيـان الكاذبة التي يُتَقَسِّمُونَهَا، وليُؤْمَؤْهُوا على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

وسببُ هذا الادعاء الكاذب ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾. فهم يُظْهِرُونَ إيمانهم فرقًا ورعبًا وخوفًا منكم أن تفعلوا بهم كما تفعلون بالكافرين.

وقال تعالى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ

أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ (التوبة).

وقال تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٦﴾ (التوبة).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ نُغْفِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ (المجادلة).

ومن هذه الآيات تعلم أن المنافقين إنما كانوا يوادون اليهود وهم أعداء المسلمين، وينقلون إليهم أخبار المسلمين، وأنهم كانوا يرتكبون أعمالاً تُغضب الله ﷻ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا سُئِلُوا فِي ذَلِكَ أَقْسَمُوا الْأَيَّانَ الْمَغْلُظَةَ أَنَّهُمْ مَا فَعَلُوهُ، وَأَنَّهُمْ يَتَّخِذُونَ الْأَيَّانَ الْكَاذِبَةَ (تَقِيَّةً) خَوْفًا عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ مِنْ

المؤمنين، وأنهم في الآخرة سيُقسمون كذلك أمام الله ﷻ كذبًا وتقية، كما كانوا يُقسمون للمؤمنين في الدنيا بلاهة منهم، وظنًا أن هذا سوف ينجيهم من عذاب الله ﷻ.

وقال تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَحَّ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (المنافقون).

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الزمر).

• يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله:

قال تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُ مَا لَّا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٧٨﴾ ﴾ (النساء).

أظهروا أمرًا وبيتوا أمرًا آخر، فهم على النقيض تمامًا من أهل التقوى الذين أيقنوا أن الله رقيب عليهم، يعلم سرهم ونجواهم، ويراهم ويرى أعمالهم، فيستحيون من الله تعالى حياءً يمنعهم عن معاصيه، ويخافون ربهم من فوقهم خوفًا يمنعهم من ظلم الناس.

فمراقبة الله تعالى في السر والعلانية صفة أهل التقوى، والحياء من الناس والجرأة على الله تعالى صفة أهل النفاق.

• وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (٨٢) (الواقعة).

وتتمثل هذه الآية الأخيرة في واقع الناس اليوم: حيث الإعلام المضلل، والصحافة الكاذبة غير الآمنة، والتي تشجع على الفوضى والغوغائية، بعدم تحرّرها الحقيقة، وبافتراء الكذب، وكون هذا الكذب مصدر رزقهم، والله يشهد إنهم لكاذبون.

ولخطورة الكذب، وبيان أنه صفة ملازمة للمنافقين، وخصلة من خصال النفاق، وآفة من آفاته الخطيرة، فقد:

• حذرنا منه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ } (١).

- وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ،

(١) أخرجه البخاري: ك: الإيمان، ب: علامة المنافق، ح (٣٣)، ومسلم: ك: الإيمان،

ب: بيان خصال المنافقين، ح (٥٩).

وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ { (١) } .

• وَيِنَّ لَنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهَا صِفَةٌ لَا يَجْتَمِعُ مَعَهَا الْإِيمَانُ .

- عَنْ مَالِكٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟ فَقَالَ: {نَعَمْ}، فَقِيلَ لَهُ: أَيُّكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا؟ فَقَالَ: {نَعَمْ}، فَقِيلَ لَهُ: أَيُّكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَابًا؟ فَقَالَ: {لَا} { (٢) } .

- وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { إِنْ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصُدَّقُ حَتَّى يَكُونَ صَدِيقًا. وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا } { (٣) } .

• وَمَا وَرَدَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي بَيَانِ اتِّصَافِ الْمُنَافِقِينَ بِذَلِكَ :

(١) سبق تخريجه، ص (٢٩) .

(٢) أخرجه مالك في موطنه، ح (١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان، ح (٤٤٧٢) .

(٣) أخرجه البخاري: ك: التفسير، ب: قول الله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، ح (٦٠٩٤)، ومسلم: ك: البر والصلة والآداب، ب: قبح الكذب وحسن الصدق، ح (٢٦٠٧) .

- قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [اَعْتَبِرُوا الْمُنَافِقَ بِثَلَاثٍ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اتَّيَمَّنَ خَانَ]، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: ﴿ وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَئِن آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَجَلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ (التوبة) (١).

- وَقَوْلُ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [الْمُنَافِقُ الَّذِي إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا حَلَفَ فَجَرَ، وَإِذَا أَوْثَمَّنَ خَانَ، وَإِذَا غَنِمَ غَلًّا، وَإِذَا أُمِرَ عَصَى، وَإِذَا أُلْقِيَ جَبَنَ، فَمَنْ كَانَ فِيهِ فَفِيهِ النِّفَاقُ كُلُّهُ، وَمَنْ كَانَ فِيهِ بَعْضُهُنَّ، فَفِيهِ بَعْضُ النِّفَاقِ] (٢).

وَعَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: [مَنْ كَذَبَ فَهُوَ مُنَافِقٌ]، ثُمَّ قَالَ: [مَا أَدْرِي أَيُّهُمَا أَبْعَدُ غَوْرًا - يَعْنِي فِي النَّارِ - الْكَذِبُ أَوْ الشُّحُّ] (٣).



ويلحق بهذه الصفة أنهم:

- (١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٠٦٧) وابن أبي شيبة في المصنف (٢٥٦١١).
- (٢) أخرجه أبو عبد الله ابن بطة في الإبانة، رقم (٩٢٦)، وذكره الفريابي في صفة النفاق، رقم (٢٠)، ص (٦٥).
- (٣) شعب الإيمان للبيهقي رقم (٤٥٤٩)، وفي صفة النفاق، رقم (٢٢)، ص (٦٦).

يقولون ما لا يفعلون (عليه اللسان)

المنافق هو عالم اللسان، جاهل القلب والعمل، أعطى الناس لسانه، ومنع الله قلبه وعمله. يقول ما لا يفعل، سريره ليست مثل علانيته، وإنما يهلك هذه الأمة كل منافقٍ عليه اللسان.

• قال الله تعالى ناهياً أهل الإيمان عن الاتِّصاف بهذه الآفة:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ (الصف)، وقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (البقرة).

وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلِّ مُنَافِقٍ عَلَيْهِمُ اللَّسَانُ} (١).

وقال عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ ثَلَاثَةٌ: مُنَافِقٌ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لَا يُحْطِئُ فِيهِ وَآوَاءٌ وَلَا أَلْفَاءٌ، يُجَادِلُ النَّاسَ أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْهُمْ لِيُضِلَّهُمْ عَنِ الْهُدَى، وَرَزَلَةٌ عَالِمٌ، وَأَيْمَةٌ مُضِلُّونَ] (٢).

وَقَالَ حُدَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [إِنَّ مِنْ أَفْرَأِّ النَّاسِ الْمُنَافِقَ، الَّذِي لَا

(١) أخرجه أحمد، ح (١٤٣)، وابن حبان في صحيحه، ح (٨٠).

(٢) أخرجه الذهبي في السير (١١ / ٤٦٤، ٤٦٣).

يَتْرُكُ وَاوًا وَلَا أَلْفًا يَلْفِتُهُ، كَمَا تَلْفِتُ الْبَقْرَةُ الْخَلَا بِلِسَانِهَا [(١)].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ (المنافقون: ٤).

فالمنافق يقول قولاً ويعمل عملاً مخالفاً، أو يقول مدحاً أو ذمّاً، وهو يعلم أن ما وراء هذا المدح أو الذم إلا الحصول على منفعة مادية، أو معنوية. فهو الذي يصف الإسلام ولا يعمل به.

قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا: [إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتْنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّى يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ، وَالْمُنَافِقُ، وَالرَّجُلُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالصَّغِيرُ، وَالْكَبِيرُ، وَالْعَبْدُ، وَالْحُرُّ، فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ: مَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ؟ مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتَدَعَ، فَإِنَّ مَا ابْتَدَعَ ضَلَالَةٌ، وَأَحْذَرُكُمْ زَيْعَةَ الْحَكِيمِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةً الضَّلَالَةِ عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ، وَقَدْ يَقُولُ الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ...] (٢).

فهو يجادل الناس بأنه أعلم منهم؛ ليضلهم عن الهدى، لذلك كان أكثر منافقي الأمة قراؤها. يقول بما يعرف، ويعمل بما يُنكر.



(١) صفة النفاق وذم المنافقين، ح (٤١)، ص (٨٥).

(٢) أخرجه أبو داود: ك: السنة، ب: لزوم السنة، رقم (٤٦١١)، والحاكم، رقم (٨٤٢٢)، وقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الألباني موقوفاً.

الخصلة الثانية

(الخلف في الوعود، والغدر في العهود)

وهي صفة من صفات اليهود، يُعرفون بها، فالقوم لا عهد لهم ولا ذمّة. وقد بيّن القرآن الكريم ذلك في:

• قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (النساء).

كان المنافقون يعطون العهد والميثاق للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على طاعته وتنفيذ أوامره، فإذا خرجوا من عنده اتفقوا ليلاً فيما بينهم على غير الذي أعلنوه عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

• وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٥) ﴿فَلَمَّا آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٧٦) ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (٧٧) ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (٧٨) (التوبة).

• وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا لَآلِهَةِ مَبَدَّيْنِ إِذْ يَبْتَغُونَ ثَأْمَنَ لِقَاءِ رَسُولِنَا أَن نَّخْرُجَهُمْ مِنْهَا فَيَكُونُوا مِنْهَا قَدْحًا فَانْمَازُوا فِيهَا لَمَّا خُرِجُوا مِنْهَا لَآئِمَّةً بَعْدَ بَعْدٍ فَسَبُّوا فِيهَا مَنْ يَكُونُونَ لِمَا كَانُوا عَاهِدُوا لَنَا مِن قَبْلُ لَا يُؤْتُونَ الْأَدْبَرَ

وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾﴾ (الأحزاب).

• وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمِنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى

فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ (النور).

وقد ورد في السنة ما يؤكِّد ذلك:

ففي حديث أبي هريرة: { وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ }، وفي حديث عبد

الله بن عمرو: { وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ }. وقد سبق ذكر ذلك.

فخلف الوعد خصلة ملازمة للمنافقين، والغدر بالعهد آفة

من آفات النفاق، وشعبة من شعبه.

ومنه قول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾

(الرعد: ٢٥). ويدخل في ذلك: كلُّ حاكم أو وزير أو مسئول أو

مدير، أو والد، أو والده يعِدُّ بشيء، ولا يلتزم به بغير عذر.



الخصلة الثالثة

(الخيانة)

وللخيانة صور عديدة:

منها: السرقة. وفي المصباح المنير: « وربما قيل كل سارق خائنٌ دون عكس»، وقيل في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ۝١٠٥ وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنِّي آتٍ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝١٠٦ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا ۝١٠٧ ﴾ (النساء): إنها نزلت في سارق الدرّعين وقومه.

وقيل الخيانة: أن يؤتمن المرء على شيء، فلا يقيم حرمة الأمانة وزناً. كما في روايتي أبي هريرة وعبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: { إِذَا أَوْثُمِنَ خَانَ } ...

وفي التحذير من خيانة الأمانة: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { أَدَّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ اتَّمَمْنَاكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ } (١).

(١) أخرجه أحمد ح (١٥٤٢٤)، وأبو داود: ك: الإجارة، ب: في الرَّجُلِ يَأْخُذُ حَقَّهُ مَنْ تَحْتِ يَدِهِ، ح (٣٥٣٥)، والترمذي: ك: البيوع، ب: ٣٨، ح (١٢٦٤)، وقال: حسن غريب، وقال الألباني: حسن صحيح.

وعمن يدخل في المطالبة بذلك: كلٌّ من تحمل أمانة الحكم، أو أمانة المسؤولية، أو أمانة الكلمة، أو أمانة العلم، أو أمانة العمل، فلم يؤدّها بإتقان، أو غشّ فيها، فمن غشّ أمة الإسلام، فهو داخل في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي } (١).

• ومن صور الخيانة في القرآن الكريم:

١- التجسس لحساب الأعداء:

• قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَسَمِعُونَ لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ... (٤١)﴾ (المائدة).

وقد ذكر الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات، أنها نزلت في منافقي أهل الكتاب: ﴿سَمِعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ أي سمعوا لأجل قوم آخرين. وجّهوا عيوننا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى المسلمين يحضرون مجالسهم، وينقلون أخبارهم إلى قوم وصفهم الله بقوله ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾.

(١) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من غشنا فليس منا، ح (١٠٢).

ومن هذه الآية يتبين أن فريقاً من المنافقين من أهل الكتاب كانوا يزعمون الإسلام لغاية التجسس لأعداء الله ﷻ، ونقل أخبار المسلمين إليهم.

• قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ، عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٧٦) ﴿البقرة﴾.

• وقال تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَىٰ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ وَكَفَرُوا ءَاخِرُهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٧٢) ﴿آل عمران﴾.

فالتجسس في صدر الأعمال التي يهتم بها المنافقون للكيد للإسلام والمسلمين، والتعاون مع أعداء الله ﷻ على ذلك، ولذا نهى الله تعالى عنها المؤمنين بقوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾.

٢- إفشاء الأسرار للأعداء:

وهذا لون آخر للتجسس، فقد يكون التجسس مهنة وغاية، ولكن هناك من يُفشي السرَّ تحت تأثير شيء معين، وضعف لا يلبث أن يزول إذا خالط قلبه نور الإيمان.

ومن ذلك قصة أبي لبابة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما حاصر

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يهودَ (بني قريظة) بعد أن ظاهروا المشركين عليه في غزوة الأحزاب، فذهب إليهم، فلما رآوه قام إليه الرجال وهشَّ إليه النساءُ والصبيانُ يبكون في وجهه، فرقَّ لهم، فقالوا: يا أبا لُبابة أترى أن نزلَ على حُكمِ مُحَمَّدٍ؟ قال: نعم، قالوا: ماذا يفعل بنا إذا نزلنا؟ فأشار بيده إلى حلقه أنه الذَّبْحُ، قال أبو لُبابة: [فوالله ما زالت قدماي حتى عرفتُ أني قد خنتُ الله ورسوله]، ثم انطلق أبو لُبابة على وجهه، ولم يأت رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى ارتبطَ في المسجدِ إلى عمودٍ من عمده، وقال: [لا أبرحُ مكاني حتى يتوبَ اللهُ عليَّ بما صنعتُ] (١).

وأنزل اللهُ تعالى قوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ

وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٧) (الأنفال).

وقيل: إن هذه الآية: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا

وَأَخْرَسَيْنَا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٠٢) (التوبة). نزلت في توبة الله تعالى عليه.

ولا شك أن أقصى ما يتمناه العدو من الفرد المسلم هو خيانتته لجماعته بإفشاء أسرارها.. أو التآمر ضدها.

٣- مصانعة العدو، ومصادقته:

كما حدث في قصة الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقد كان له إخوة وبنون بمكة، ليس لهم عصب يحميهم، فخاف عليهم إذا غزا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة عندما أراد فتحها، فأحب أن يكون له عند قريش يدٌ، وأراد أن يتقرب إليهم رغبة في عدم إيذاء أهله بمكة منهم، فكتب إليهم كتاباً وأرسله إليهم. رُوي أنه ورد فيه: «أما بعد: يا معشر قريش، فإن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل، فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له، فانظروا لأنفسكم والسلام».

والذي ينظر إلى هذه الصيغة لا يفهم منها أنه قصد أذى المسلمين، وإنما هو إفشاء السرِّ لمصلحة رآها هو لأهله بمكة.

وقد أرسل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علياً والزبير والمقداد في تتبع المرأة التي معها كتاب حاطب إلى قريش، حتى وجدوها عند (روضة خاخ)، فأخذوا منها الكتاب، فأتوا به إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: {يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟}، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مِنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ

بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ
أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا،
وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لَقَدْ
صَدَقَكُمْ}، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا
الْمُنَافِقِ، قَالَ: {إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ
أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ} (١).

وفي هذا الحديث دليل على أن ما عمله حاطب من النفاق، فقد
أقر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قولَ عمر: [دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا
الْمُنَافِقِ]، وفي رواية: «فقال عمر: [إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين
فدعني أضرب عنقه]» فلما ذكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه من
أهل بدر دمعت عيناه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: [الله ورسوله أعلم].

ومن هذا نعلم أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يستنكر وصف
عمر لهذا العمل بأنه نفاق، ولا حتى العقوبة التي أراد عمر أن
يوقعها عليه وهي القتل، وإنما الذي شفع له عند رسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان من أهل بدر، وأبلى بلاءً حسنًا في هذه

(١) أخرجه البخاري: ك: الجهاد والسير، ب: الجاسوس، ح (٣٠٠٧)، ومسلم: ك:
فضائل الصحابة، ب: فضائل أهل بدر، وقصة حاطب، ح (٢٤٩٤).

الغزوة المباركة.

٤- التآمر مع الأعداء، ولو في صورة طاعة من الطاعات:

(أ) قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا نَقُومُ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا لِلَّهِ مِحْبَةً يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ (التوبة).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: « هُمْ أَنَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ابْتَنَوْا مَسْجِدًا، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو عَامِرٍ: ابْنُوا مَسْجِدَكُمْ وَاسْتَمِدُّوا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ سِلَاحٍ، فَإِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ فَاتِي بِجُنْدٍ مِنَ الرُّومِ، فَأُخْرِجَ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ مَسْجِدِهِمْ أَتَوَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: إِنَّا قَدْ فَرَعْنَا مِنْ بِنَاءِ مَسْجِدِنَا، فَحَبِّبْ أَنْ تُصَلِّيَ فِيهِ، وَتَدْعُو بِالْبَرَكَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ هَذِهِ الْآيَاتِ «(١)، وَبَنَوْا الْمَسْجِدَ لِيَكُونَ أَبُو عَامِرِ الرَّاهِبِ (الْفَاسِقِ) إِمَامَهُمْ.

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٦٣).

وكان الذين بنوا هذا المسجد وأموه اثني عشر منافقًا، ذكرهم ابن هشام في سيرته. أقاموا مسجدهم وشيّدوه، وأخفوا مقاصدهم الدنيئة في صدورهم، كما أخفوا نفاقهم، وأرادوا أن يزيدوا طمأنة المسلمين، ويبالغوا في التمويه عليهم.

وحدثت الفتنة بين الناس، وانقسموا على أنفسهم بسبب هذا المسجد، فأمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مالكَ بْنَ الدُّخْشُمِ وَمَعْنَ بْنَ عَدِي بِهِدْمَهُ وَحَرَقَهُ، فَحَرَقَاهُ وَهَدَّمَاهُ، وَنَزَلَ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ مَا نَزَلَ.

(ب) قال تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أقطارِهَا ثَمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ

لَأَتَوْهَا وَمَاتَلَبَّتْ بِهَا إِلَّا يُسِيرًا﴾ (١٤) ﴿(الأحزاب).

نزلت هذه الآيات في هؤلاء الذين جبنوا من المنافقين عند لقاء الأحزاب، وذهبوا إلى المدينة مُحْتَجِّينَ بِأَنْ بِيوتِهِمْ عورة، فيرد الله على هؤلاء بأنهم ضعاف الإيوان، لا عقيدة لهم، لأن الله يعلم أن العدو لو قُدِّرَ له أن يدخل المدينة من جوانبها وأقطارها، ثم سألهم المشركون الرّدة وحمل السلاح في وجوه المسلمين ما تردّدوا لحظة. وهذه هي الخيانة العظمى في أقصى صورها، وقد فضح الله تعالى نواياهم في قرآن يتلى إلى يوم الدين.

(ج) قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصَرُّونَ ﴿١٢﴾﴾ (الحشر).

نزلت هذه الآيات في يهود بني النضير، الذين أرادوا قتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ديارهم، وفي المنافقين الذين هُمُّوا بالخيانة العظمى، وحاولوا إشهار السيف مع أعداء الله في وجوه المسلمين، ولكن الله عَجَّلَ خذلهم وثبَّطهم، وألقى في قلوبهم الرعب.

وَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّهْيِئِ لِحَرْبِهِمْ وَالمِيسِرِ إِلَيْهِمْ، فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فَحَاصَرَهُمْ سِتَّ لَيَالٍ، وَنَزَلَ تَحْرِيمُ الحَمْرِ حِينَئِذٍ، وَتَحَصَّنُوا فِي الحُصُونِ، فَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَطْعِ النَّخِيلِ وَالتَّحْرِيقِ فِيهَا، فَنَادَوْهُ: أَنْ يَا مُحَمَّدُ قَدْ كُنْتَ تَنْهَى عَنِ الفَسَادِ، وَتَعِيبُ مَنْ صَنَعَهُ، فَمَا بَالُ قَطْعِ النَّخِيلِ وَتَحْرِيقِهَا؟!.

وَقَدْ كَانَ رَهْطٌ مِنْ بَنِي عَوْفِ بْنِ الحَزْرَجِ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَوَدِيعَةُ وَمَالِكٌ وَسُوَيْدٌ وَدَاعِسٌ قَدْ بَعَثُوا إِلَى بَنِي النَّضِيرِ: أَنْ

اثْبُتُوا وَتَمَتَّعُوا، فَإِنَّا لَنَ نُسَلِّمُكُمْ، إِن فُوتِلْتُمْ قَاتَلْنَا مَعَكُمْ، وَإِن أُخْرِجْتُمْ خَرَجْنَا مَعَكُمْ.

فَتَرَبَّصُوا ذَلِكَ مِنْ نَصْرِهِمْ فَلَمْ يَفْعَلُوا، وَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يُجَلِّيهُمْ وَيَكْفَّ عَنْ دِمَائِهِمْ عَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا حَمَلَتِ الْإِبِلُ مِنَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا الْحُلُقَةَ. ففعل ذلك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالخيانة العظمى شعبة من شعب النفاق تكفي وحدها لإثبات صفة النفاق، وإلصاقها بشخص سوَّلت له نفسه أن يرتكب إحدى الجرائم الثلاثة التي بينها في آفة الخيانة (العمل كجاسوس لحساب العدو، أو أوقعه شيطانه في جريمة إفشاء سر الجماعة المؤمنة، أو تحبط عقله في دياجير الخيبة، وعرض مشاركته مع الأعداء للتآمر ضد سلامة الإسلام والمسلمين).

٥- الغل من الغنيمتة في الغزو:

وهو صورة من صور الخيانة، والغلول يكون في الغنيمتة قبل تقسيمها، وهي من الكبائر، ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ (آل عمران: ١٦١).



الخصلة الرابعة

(الفجور في الخصومة)

وهي صفة مَنْ لا خلاق له، ولا ولاء له، ينسون المعروف والإحسان، ويتذكرون الإساءة، ويتنكَّرون للجميل، ويفجُرون في خصامهم وكيدهم للإسلام والمسلمين، بينما أهل الإيمان والتُّقى والإحسان لا يعرفون الفجور والخصام، فهم ملزمون عند الخصام بالألا يَمُرَّ على أحدهم ثلاث ليال، فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما من يبدأ بالسلام، إلا أن تكون خصومة لله ﷻ عند انتهاك محارمه، فعندها يكون الزجر بالهجر.

وقد وردت هذه الصفة في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: { أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، ... وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ }.

كما وردت عدة آيات تخبرنا عن مقدار كيد هؤلاء للدعوة وللإسلام، وتحذثنا عما كانوا يدبرونه في الخفاء للنيل من الإسلام والمسلمين.

• قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ (النساء).

(النساء).

نزلت هذه الآيات في رهط من المنافقين، فجرؤوا في خصامهم لله ورسوله، وفي خصامهم للدعوة وأصحابها.

• وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۚ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٥٦﴾ (البقرة).

أَلَدُّ الْخِصَامِ: الذي لا يتورع أن يلجأ إلى كل الطرق من كذب وافتراء، وزور وبهتان، لكي يكيد لخصمه، ولا يستحي أن يلجأ إلى كل هذا لكي ينتقم من الإسلام والمسلمين.

عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَخْبَرَنِي حَازِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: { فِي أُمَّتِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدُونَ رِيحَهَا، حَتَّىٰ يَلْجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ تَكْفِيكُهُمُ الدُّبَيْلَةُ، سَرَاجٌ مِنَ النَّارِ يَطْهَرُ فِي أَكْتَفِيهِمْ، حَتَّىٰ يَنْجَمَ مِنْ صُدُورِهِمْ } (١).

• وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا

(١) أخرجه مسلم: ك: صفات المنافقين وأحكامهم، ح (٢٧٧٩)، وقوله: {تَكْفِيكُهُمُ الدُّبَيْلَةُ} وَيُرْوَى {تَكْفِيهِمْ}، وَيُرْوَى {تَكْفَتُهُمْ}، ومعناه: تميتهم وتغطيهم في قبورهم، وقد فسّر المراد بالدبيلة بما بعدها وهو (سراج من النار). انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٣١٠/٨)، وشرح النووي على مسلم (١٢٥/١٧).

وَالْآخِرَةُ وَاَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِيْنَ يُؤْذُوْنَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
بِغَيْرِ مَا كَتَبُوْا فَقَدِ احْتَمَلُوْا بُهْتَانًا وَاِثْمًا مُّبِيْنًا ﴿٥٨﴾ (الأحزاب).

والإيذاء من الفجور في الخصام، أولئك هم الفجرة الذين
استباحوا الأعراس، وانتهكوا الحرمات؛ ليرضوا شهوة الحقد
التي استقرت في أعماق قلوبهم.

• وقال تعالى: ﴿الَّذِيْنَ تَرَىٰ إِلَىٰ الْآخِرَةِ نُهُوْا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُوْدُونَ لِمَا نُهُوْا
عَنْهُ وَيَنْجُوْنَ بِالْاِثْمِ وَالْعُدُوْنَ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُوْلِ وَاِذَا جَاءُوكَ حِيَّوْكَ
بِمَا لَمْ يُحِبَّكَ بِهِ اللهُ يَقُوْلُوْنَ فِيْٓ اَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُوْلُ حَسْبَهُمْ
جَهَنَّمَ يَصَلُوْنَهَا فَيُنْسَ الْمَصِيْرُ ﴿٨﴾ (المجادلة).

نزلت هذه الآيات في المنافقين، كانوا يتناجون مع اليهود فيما
بينهم، تأمرًا وكيدًا.

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: [كانوا يتناجون بينهم، وكان
ذلك يغيظ المؤمنين، ويكبر عليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ
مِنَ الشَّيْطٰنِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوْا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا اِلَّا بِاِذْنِ اللهِ وَعَلَىٰ اللهُ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُوْنَ ﴿١٠﴾] (المجادلة).

• وقال تعالى: ﴿ هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَيَلْمِزُوا أُمَّةَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ لَا يَفْقَهُونَ ۗ ﴾ (٧)
 يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَهَا الْأَذْلَ ۗ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ۚ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ (المنافقون).

إن المنافقين أكل الحقد قلوبهم، واستولت الضغينة على نفوسهم، يستغلون كل فرصة للكيد للإسلام والمسلمين.

ولولا حكمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإيمان أصحابه لاندلعت نار الفتنة، ولتزعج رأس المنافقين (ابن أبي) حركة ثورية انتقامية (١).

فالفجور في الخصام: آفة من آفات النفاق، وخصلة من خصال المنافقين ما بقيت السموات والأرض. فإن كان الهدف منه تعطيل الرسالة وأعمال الدعوة، والكيد للإسلام، وهدم سيادته وأهدافه وأركانه، فهذا أشد أنواعه وأقبحها.



(١) راجع أسباب نزول هذه الآيات: تفسير الطبري، وابن كثير، وسيرة ابن هشام.

الخصلة الخامسة

(الشحُّ والبخل، ومنع الزكاة والماعون)

المنافق شحيح بهاله في الإنفاق في سبيل الله.

• قال تعالى: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿١٧﴾﴾ (التوبة).

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾: تعبير عن الشحِّ والبخل، حيث يَضُنُّونَ بالمال، فلا ينفقونه في سبيل الله، والبخل لا يجتمع مع الإيمان في قلب العبد، وليس هناك داء أدوأ من البخل.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ عَبْدٍ أَبَدًا، وَلَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا } (١).

فانظر كيف نفى الإيمان عن البخيل، وهما صفتان متضادتان، كما أن الحياء والإيمان صفتان لا تفترقان.

(١) أخرجه النسائي: ك: الجهاد، ب: فَضَّلُ مَنْ عَمِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَى قَدَمِهِ، ح (٣١١٠)، والحاكم، ح (٢٣٩٤)، وابن حبان، ح (٣٢٥١)، وصحَّحه الألباني.

وقال أبو بكر الصديق لجابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: [وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبُخْلِ]؟! (١).

وَعَنْ نَافِعٍ قَالَ: سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَجُلًا يَقُولُ: الشَّحِيحُ أَعْذَرُ مِنَ الظَّالِمِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: كَذَبْتَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: { الشَّحِيحُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ } (٢).

وهذا زجر شديد للبخلاء، حتى ينتهوا عن بخلهم وشحهم. فكل شحيح يدخل النار لتطهره من الشح والبخل (ما لم يكن منافقاً)، ثم يدخل الجنة.

أما منع الزكاة، فالزكاة صفة ملازمة في وصف المؤمنين.

• قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤ ﴾ (المؤمنون). وهي من أركان الإسلام الخمسة التي بُنيَ عليها.

وكان أول شيء حاول المنافقون هدمه من الإسلام هو: ركن الزكاة، فقيض الله تعالى لذلك أبا بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حيث

(١) أخرجه البخاري: ك: المغازي، ب: قصة عمان والبحرين، ح (٤٣٨٣)، وانظر تفسير ابن كثير (٢/٢٦٥).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، ح (٤٠٦٦).

عقد أحد عشر لواءً لإعادة الخارجين على الإسلام من المرتدين مانعي الزكاة.

وقال الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: [وَاللَّهِ لَأَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهَا] (١).

وعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: « الْمُنَافِقُ الَّذِي إِذَا صَلَّى رَأَى بِصَلَاتِهِ، وَإِنْ فَاتَتْهُ لَمْ يَأْسَ عَلَيْهَا، وَيَمْنَعُ زَكَاةَ مَالِهِ » (٢).

ألا يعلم هؤلاء أن البخل وقبض اليد عن الإنفاق في سبيل الله لإعزاز الدين ونشره في ربوع العالمين من أسباب التهلكة والاستبدال.

قال تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ (البقرة).

• وقال تعالى: ﴿ هَاتِئُنَّ مِنْ هَؤُلَاءِ نَدْعُونَ لِأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾

(محمد).

(١) أخرجه البخاري: ك: الزكاة، ب: وجوب الزكاة، ح (١٤٠٠).

(٢) صفة التَّفَاقِ وَذَمُّ الْمُنَافِقِينَ لِلْإِمَامِ الْفَرِيَابِيِّ، رَقْم (٦٤)، ص (١٠٩).

• وأما (منع الماعون عن الناس):

فالماعون: هو كل مُعَاوَنَةٌ بهالٍ أو منفعة أو غيره، وَقَالَ عِكْرِمَةُ:
«رَأْسُ الْمَاعُونِ: زَكَاةُ الْمَالِ، وَأَذْنَاهُ: الْمُنْخُلُ وَالِدَّلْوُ وَالْإِبْرَةُ».

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: «وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ، قَالَ: الْمَعْرُوفُ.
وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ { كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ }»^(١)، ومنع الماعون

هو إحدى آفات النفاق العملية، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ④
الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ
الْمَاعُونَ ⑦﴾ (الماعون). فمنع المعروف عن الناس عمل ذميم، لا
يُقدِّم عليه إلا كلُّ من كان لئيم الطبع، شحيح النفس، وَضِيعَ
الْخُلُقِ. بينما المؤمن بطبعه وسجيته يقدِّم المعروف للناس، شغوف
بمساعدتهم. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ،
مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى
لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ
الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ }^(٢).



(١) تفسير ابن كثير (٤٧١ / ٨)، والحديث رواه البخاري (٦٠٢١)، ومسلم (١٠٠٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه: ب: من كان مفتاحًا للخير، ح (٢٣٧)، وابن المبارك في الزهد
ح (٩٦٨)، وحسنه الألباني.

الخصلة السادسة

(الجبن)

وهو صفة ملازمة للمنافقين. فالمنافق جبان عند اللقاء، فتجده في آخر الصفوف، يثبُّب العزائم، ويعتذر بالكذب بسبب ضعف العقيدة، والخوف من مقاتلة المشركين.

• قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغَشِّيٰ طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٠٤﴾﴾

(آل عمران).

نزلت هذه الآيات بعد غزوة أحد، عقب هزيمة المسلمين أنزل الله على عباده المؤمنين أمانةً نُعَاسًا، أما المنافقون من جنهم وما استولى عليهم من الخوف والفرع لم يداعبهم النُّعَاسُ لحظة واحدة، وإنما شغلهم عن ذلك الجبن والظن السيئ بالله ﷻ.

• وقال تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ (٥٧) ﴿التوبة﴾.

ووصفهم في الآية التي قبلها بقوله: ﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيْتِمًا لِمِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِمَنْكُورٍ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ (٥٦) ﴿التوبة﴾ أي جنباء.

يصور الله تعالى جنبهم تصويراً بديعاً يبين مقدار هذا الهلع والجنون والجزع، فأبأ عنهم أنهم لو استطاعوا أن يجدوا حصناً يلجئون إليه، أو مغارة أو نفقاً لولَّوا إليه، ييغون الاختفاء والفرار في سرعة تفوق سرعة الفرس الجموح.

• وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (٨٦) ﴿التوبة﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٨٧) ﴿التوبة﴾.

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ تفرغ وتويخ، حيث وصفهم بالتخلف عن الغزو كشأن النساء. صورة من التويخ يندى لها جبين أصحاب الضمائر السليمة. صورة من الجبن تأبأها النفوس الكريمة.

• وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ

يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ (الأحزاب).

• وقال تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَسْحَآةٌ عَلَيْكُمْ ۗ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۗ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ أَشْحَاةٌ عَلَىٰ الْخَيْرِ ۗ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۗ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ۗ وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُوا ۚ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ ۗ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ (الأحزاب).

• تدبّر مظاهر الجبن والخور في هذه الآيات:

- ١- كذبهم بأن بيوتهم عورة، هرباً وخوفاً.
- ٢- لا يقاتلون إلا قليلاً، خوفاً من الموت، وجُبناً عن لقاء العدو.
- ٣- يثبّطون المسلمين عن الخروج، ويتحلون الأعداء.
- ٤- تشبيه نظراتهم خوفاً وهلعاً بنظرات رجل يعالج سكرات الموت.
- ٥- سيطرة الوهم على نفوسهم لأنهم جنباء، وخوفهم من القتال.
- ٦- رغبتهم في الفرار عند سماع خبر قدوم الأعداء.

• وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ ۞ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَو صدَّقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۞﴾ (محمد).

• وقال تعالى: ﴿... يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاخَذَرَهُمْ فَلَنَاهُمُ اللَّهُ أَنِّي يُؤْفِكُونَ ۞﴾ (المنافقون).

وإنما اتَّصَفُوا بذلك: بسبب ضعف العقيدة، والخوف من مقاتلة المشركين. قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ... ۞﴾ (١١) إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَيَّ قَوْمِ أُولَىٰ بِأْسِ شَدِيدٍ نُقْنَلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوْلَيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۞﴾ (الفتح).

فقد اعتذروا عن تخلفهم عن الجهاد مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالانشغال بالأهل والأموال، وأخفوا الحقيقة التي من أجلها تخلفوا، وهي: الجبن، وظنهم أن المشركين سوف يستأصلونهم.



الخصلة السابعة: (الخداع)

• قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (١) ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿مَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (١٠) ﴿(البقرة)، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٢٤) ﴿(البقرة).

فهم يُظهِرون خلاف ما يُبطنون، حيث يعيشون بين صفوف المؤمنين لا مناصرة لهم، وإنما لإشباع رغبتهم ونهمتهم، وإرضاء شهواتهم ببغضهم، والحقدهم عليهم. يريدون أن يخدعوا المؤمنين بإظهار الإسلام وإسرار الكفر، أسماؤهم إسلامية، تسلط عليهم الأضواء، وهم يصلون الجمعة والأعياد، حتى وهم يحتفلون بليلة الإسراء، أو ليلة القدر، أو تكريم حفظة القرآن الكريم.

• ومن الخداع: الاحتيال على الدنيا بالدين

ألستهم أحلى من العسل، وقلوبهم أَمْرٌ من الصبر. يجترئون على الله ﷻ، ويفترون عليه.

وقد وقع في هذه الآفة بعض طلبة العلم، وبعض الصالحين ممن أغرتهم الدنيا فطلبوها بالدين. يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل.



الخصلة الثامنة

(بغض أهل الإيمان والحقد عليهم)

يغیظهم تمسك أهل الإيمان بالسنة، وعلو قدرهم ومكانتهم، باهتمامهم بكتاب الله تعالى، حفظاً وفهماً، وعملاً ودعوة وحكماً. قال تعالى: ﴿هَاتَمْتُمْ أَوْلَاءَ مُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقَاكُمْ قَالُوا أَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْمِنُوا يَغِيظُكُمُ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٣﴾ إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً سَوَّهْتُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١١٤﴾﴾ (آل عمران).

في هذه الآيات المباركات ينهى الله سبحانه المؤمنين عن مصادقة المنافقين والركون إليهم، لأن هؤلاء المنافقين لا يدخرون جهداً في الإفساد والكيد للمؤمنين، ويتمنون شدة الضرر والمشقة لهم ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾، وقد بدت البغضاء في كلامهم لفرط بغضهم، غير أن قلوبهم قد انطوت على ما هو أكبر من ذلك من حقد وضغينة للمؤمنين.

• حقد وضغينة: إذا انصرفوا عضوا أصابعهم غيظاً وحسرة، لأنهم لا يجدون سبيلاً للتشفي والانتقام من المؤمنين. استولى الحقد على قلوبهم. يُساءون لكل حسنة أو خير يناله المسلمون.

وَيُسْرُونَ وَيَطْرَبُونَ لِكُلِّ شَرٍّ وَمُصِيبَةٍ تَقَعُ بِالْمُسْلِمِينَ.

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَمَرْنَاكُم بِالْحَمَةِ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلِتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ (محمد).

فهذا الحقد والضغينة شعبة من شُعب النِّفاق، لا تحمل قلوبهم حبًّا للمؤمنين، وإن بدا هذا في كلامهم. يتربصون الدوائر بالمسلمين ويتمنون لهم الشر. إنهم يتحسرون على كل فرصة لا يستطيعون الكيد فيها للإسلام والمسلمين. فأى فئة أشر من هذه الفئة؟! وأي خَلْقٍ أسوأ حالًا من هؤلاء المنافقين!؟!

ومن ذلك بغضهم للمهاجرين، والأنصار من الصحابة والكرام من أجل نصرتهم لهذا الدين.

فأصحابُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الغرُّ الميامينُ، هم الذين رضي الله عنهم، ورضوا عنه، وهم ركن الدين المتين، وأول طبقة حملت الدين، وكان الوحي يسدّد أخطاءهم، وشرط قبول الإيمان من أي أحد أن يكون وفق إيمانهم، وهم الذين نشروا الدين، وفتحوا البلاد وقلوب العباد. فَمَنْ انتقص واحدًا منهم فقد حادَّ الله ورسولَه،

وطعنَ في الوحي .

لذلك كانت علامة أهل السنة والجماعة حبَّ أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وموالاتهم، والبراءة من يُبغضهم ويُعادِيهم .
عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ } (١).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: { آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ } (٢).
وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: [وَالَّذِي فَتَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيَّ: أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ] (٣).
وَقَالَ خَيْثَمَةُ: « وَاللهِ مَا أَحَبَّ مُنَافِقٌ مُؤْمِنًا أَبَدًا » (٤).

-
- (١) أخرجه البخاري: ك: مناقب الأنصار، ب: حب الأنصار من الإيمان، (٣٧٨٣)،
ويعناه في مسلم: ك: الإيمان، ب: الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان، (٧٤).
(٢) أخرجه البخاري: ك: الإيمان، ب: علامة الإيمان حب الأنصار، ح (١٧)،
ومسلم: ك: الإيمان، ب: الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان، ح (٧٤).
(٣) أخرجه مسلم: ك: الإيمان، ب: الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان (٧٨).
(٤) صفة النفاق وذم المنافقين للفريراي، رقم (٩٢)، ص (١٣٠).

فالمنافق يرى في صورة المؤمن الصالح أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويشتم رائحتهم الذكية، وأعمالهم المباركة.

لذلك تجدهم يسخرون منهم، ويقللون من شأنهم، ويكثرون الهمز واللمز حول أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. تارة يتهمون ذاكرتهم وقوة عبقريتهم في الحفظ، وتارة يسخرون من جهادهم وفتحهم البلاد، ونشرهم الإسلام، سواء بالسيف أو بالحكمة.

وكلما أكلت الغيرة من هذا الدين في قلوبهم ظهر ذلك على فلتات ألسنتهم بالسوء. فهي كالسَّمِّ الزُّعَافِ. أولئك أحبار السوء. دعاة على أبواب جهنم.



ومما يماثل ذلك في عصرنا الحاضر ما يقوم به أمثال هؤلاء المنافقين من العلمانيين وغيرهم، - الذين لا يألون جهداً في التعرُّض بالسُّلْبِ لشعائر الإسلام، والطعن في سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من الجرائم التالية:

• وضع المساجد تحت الرقابة، وإغلاقها بعد الصلوات، والتحكم فيها بأهوائهم، يأذنون فيها لمن يشاءون، ويمنعون من يشاءون.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة).

• التصريح بكراهيتهم لحجاب المرأة المسلمة ونقابها، واستبدال غطاء الرأس أو ما يسمى حجاب الموضة بالحجاب الشرعي، وكراهيتهم للزِّيِّ العربي عموماً، وحبهم للتبرج والسفور.

• كراهيتهم التشبه بلحية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتمسك بها، واستخفافهم بوجوبها، والسخرية منها، ومن يتمسك بها.

• كراهيتهم الجهاد في سبيل الله، وحصره في قتال الدفع، وذلك لهدم أعظم عبادة ومهمّة للمسلمين، وهي: نشر الإسلام في ربوع الأرض، فالمسلمون حملة رسالة الرسل والأنبياء، وفي قلوبهم وحادهم مسؤولية هذه الدعوة، وهداية الناس.

• كراهيتهم للغة العربية، لغة القرآن، وأهل الجنة، وهي أم اللغات وأجملها، وتفضيلهم اللغات الأجنبية عليها، وحرصهم على تعليم أولادهم من الرّوضة حتى الجامعة لغات الغرب، بينما لا تحوز لغة القرآن والسنة هذا القدر من اهتمامهم.

- كراهيتهم للتاريخ الهجري الذي ترتبط به كل عبادات المسلمين: من الصيام، والزكاة، والحج، والكفارات، وسائر أيام الله تعالى، والمناسبات الإسلامية، وغزوات الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفتوحات الإسلام، وتفضيلهم التاريخ الميلادي الصليبي الوثني عليه.
- كراهية ما فيه رضوان الله ﷻ، واتباع ما فيه سخط الله تعالى.
- كراهيتهم للاقتصاد الإسلامي الخالي من الربا، وتمسكهم بالربا ومعاملاته، ودفاعهم عنه دفاع المستميت.
- اعتبارهم التمسك بالإسلام تشدداً وإرهاباً، والتفريط فيه وسطية واعتدالاً. يقولون: ﴿غَرَّهَتْوَلَاءُ دِينَهُمْ﴾.

- دينهم المصلحة: ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾
- يفضّلون الدنيا على الآخرة، وحياتهم إلى المادية أسرع.
- معروفون بلحن القول: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾



الخصلة التاسعة

(تشبيط الهمم، وإشاعة الفشل، وإيقاد نار الفتى بين المسلمين، وتخذيل أهل الإيمان عند الشدائد)

يتخاذلون عن نصره المؤمنين، ويخذلون عن الكافرين، ويشيعون الفشل في صفوف المسلمين حتى لا ينتصروا على الكافرين.

فهم يخذلون أهل الإيمان عند الشدائد، وفي الجهاد، والغزو. فيفضح الله تعالى تكذيبهم، وما يُقسمون عليه بالإيمان أنهم مسلمون منّا.

• قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا لَكُمُ يَغُونَكُمْ أَفْنَنًا وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُوا ﴿٤٨﴾﴾ (التوبة)

﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ لِمَنْكُمُ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ (التوبة).

• قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ

مِنْهُمْ لِلْإِيْمَانِ يَقُولُونَ بِأَقْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿٣٧﴾ (آل عمران).

وسبب نزول هذه الآية: هو « أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى غَزْوَةِ أُحُدٍ فِي أَلْفٍ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ. حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالشُّوْطِ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَأُحُدٍ، انْخَزَلَ (تراجع وتخاذل) عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنِي بَنِي سَلُولٍ بِثُلُثِ النَّاسِ، وَقَالَ: أَطَاعَهُمْ وَعَصَانِي، مَا نَدْرِي عِلَامَ نَقْتُلُ أَنْفُسَنَا هَاهُنَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَرَجَعَ بِمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ النَّفَاقِ وَالرَّيْبِ، وَاتَّبَعَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ حَرَامٍ أَخُو بَنِي سَلِيمَةَ، يَقُولُ: يَا قَوْمَ، أَذَكَّرَكُمُ اللَّهَ أَلَّا تَخْذُلُوا قَوْمَكُمْ وَنِيَّكُمْ عِنْدَ مَا حَضَرَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَقَالُوا: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تُقَاتِلُونَ لَمَا أَسْلَمْنَاكُمْ، وَلَكِنَّا لَا نَرَى أَنَّهُ يَكُونُ قِتَالًا. قَالَ: فَلَمَّا اسْتَعْصَمُوا عَلَيْهِ وَأَبَوْا إِلَّا الْإِنْصِرَافَ عَنْهُمْ، قَالَ: أَبَعْدَكُمْ اللَّهُ أَعْدَاءَ اللَّهِ، فَسَيُغْنِي اللَّهُ عَنْكُمْ نَبِيَّهُ » (١).

فهؤلاء المنافقون كانوا يعلمون تمام العلم، ويوقنون تمام اليقين أن القتال لا محالة واقع، غير أنهم أرادوا تبرير مسلكهم السيئ. في أنهم يُظهرون خلاف ما يُبطنون.

(١) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق السقا (٢/ ٦٤).

• قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْفِي شِعْرَ طَائِفَةٍ مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ (آل عمران).

بعد غزوة أحد، وبعد أن قُتل من المسلمين ما يزيد على السبعين، ويُجرَح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتسيل دماؤه، ويُشاع قتله، يخرج هذا المنافق ليكون داعية للفشل والهزيمة ويقول: «هل لنا من الأمر شيء؟ أين ما وعدنا به من نصر من محمد وربه؟».

هم دعاة للفشل والفضي، مثبِّطون لهمم المسلمين العالية، ليوهنوا العزائم، ويُضعفوا النفوس، ويُفرِّقوا الصفَّ ليكونوا عونًا للأعداء، ذلك حين تقع الهزيمة، ويمتحن بها المؤمنون، غير أن المؤمن القوي، الثابت في إيمانه، لا تزغزه النكبات، ولا تضعفه البلايا والخطوب.

• وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّكِفُونَ كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا

لِإِخْوَانِهِمْ إِذْ ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَلَقَتُوا
 لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يَخْتَارُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
 ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتْتُمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا
 يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِنْ مُتْتُمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ (آل عمران).

كلمة نسمعها كثيراً، قالها المنافقون الأوائل، ويقولها المنافقون في
 هذا الزمان ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَلَقَتُوا﴾، يريدون بلبلة الأفكار،
 وتشبيط همم الدعوة إلى الله، ودعوة منهم للهزيمة والاستسلام.
 وعندها يُصغي إلى هذه الأقاويل مرضى القلوب، وضعاف
 النفوس من الأمهات والأخوات والأزواج... مشهد مؤلم، لكن
 الله تعالى ردَّ على هذا القول الباطل ليطمئن المؤمنين، ويبشرهم
 بالمغفرة والرضوان، طالما كانوا يقاتلون في سبيل الله صادقين.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أِطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ

فَادْرءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ (آل عمران).

هي دعوة، الهدف الرئيسي منها التشييط، ليكون ذلك مدعاة
 لعدم خروجهم مرة ثانية، وسبباً في تمردهم على رسول الله
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، والملتزمين والمتمسكين بهديه في كل

زمان ومكان. إنها دعوة للهزيمة والفرقة.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبْتَئَنَّ فِيمَا أَخَذْتُمْ مِنْكُمْ مُصِيبَةً قَالَ قَدْ أَنْعَمَ

اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ (النساء).

تثييط وإرجاف قبل بدء المعركة: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبْتَئَنَّ﴾،

وعقب عودة المسلمين من المعركة: ﴿فَإِنْ أَخَذْتُمْ مِنْكُمْ مُصِيبَةً قَالَ قَدْ أَنْعَمَ

اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾، وهذا كقولهم: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا

قَاتَلُوا﴾، فهم يغتتمون أي فرصة في أي وقت للإحباط وإشاعة

الفسل، وتثييط الهمم.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا

اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ

فَارْجِعُوا وَاسْتَعِذْ بِنُفُسِكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنَّ بؤوتنَاعورَةَ وَمَاهِي بَعورَةَ إِن

يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ (الأحزاب).

يريدون بأي شكل تعويق الأمة عن الجهاد في سبيل الله،

وإشاعة الفسل. أولاً بالقول: ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾

﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾، وثانياً بالفعل: ﴿وَاسْتَعِذْ بِنُفُسِكُمْ

فَارْجِعُوا وَاسْتَعِذْ بِنُفُسِكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنَّ بؤوتنَاعورَةَ وَمَاهِي بَعورَةَ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾.

وقال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا

وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الأحزاب).

وهذه الصفة من أهم آفات النفاق، فهي جزء من برنامج الطابور الخامس، الذين يعملون لحساب أعداء الأمة.

وانظر وتأمل دعاءهم ونداءهم للمجاهدين ليتمتعوا بالظلال والثمار والماء البارد. وتزيين التقاعد لهم.

ومن هنا يتضح لنا كيف أن المنافقين كانوا يقومون بدور خطير لصالح الأعداء، سواء كان ذلك عن قصد منهم، أو دَفَعَهُمُ الحقد والحسد والرغبة في الانتقام، يشيعون الأقاويل التي تحطُّم الروح المعنوية للمجاهدين، يبغون من وراء ذلك قتل روح حبِّ الجهاد والشهادة في سبيل الله ﷻ، وترغيبهم في البقاء. سبحان الله! فنُّ في التعويق غريب وخطير، ولكن أنى لهم من سبيل في زعزعة عقيدة الموحِّدين، قد ينجحون في إيجاد الفرقة والانقسام، وإغراء ضعاف الإيمان، ولكن يفشلون بجهلهم أنهم سبب قدري في التمحيص والتصنيف حتى يرتدَّ مَنْ يرتدُّ، وينافق مَنْ ينافق، ويُدَاهِن مَنْ يُدَاهِن، ثم تثبت الفئة المؤمنة، فيجعلها الله تعالى ستارًا لقدرته، وأداة لنصرة دينه في الأرض،

ويمكّن لهم، وينصرهم.

• ذلك فضل الله تعالى الذي كلاً به دعوته، وتلك رحمته التي خصّت رسوله والمؤمنين من عباده.

هل كان للمسلمين أن ينتصروا إزاء تلك النكبات والتحديات التي أحاطت بهم في غزوة الأحزاب؟ هل كان لهم أن يتمتعوا بالحياة مرة أخرى بعد أن تألّبت عليهم معظم قبائل العرب، وتحالف اليهود مع المشركين، وتنكّروا للمسلمين؟

لكن الفضل لله تعالى، والمِنَّة منه سبحانه، والرحمة يختص بها من يشاء من عباده. قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ (الأحزاب).



الخصلة العاشرة

(المسارعة في الإثم والاعتذار به، والعدوان وأكل المال الحرام)

• قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ (٦١) وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ (المائدة).

نزلت هذه الآيات في منافقي أهل الكتاب خاصّة، أو في المنافقين عامّة. فكان الدليل على أن قلوبهم منطوية على الكفر، وقد ملئت كفرًا أن الكثير منهم يسارعون إلى الإثم والعدوان وأكل السحت (الحرام). فلو أنهم صدقوا في إسلامهم، وصدقوا النية ما فعلوه.

لذلك أمر الله تعالى المؤمنين بقوله ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۗ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (المائدة: ٢).

والمسارعة في الإثم والعدوان وأكل المال الحرام غالبًا ما يكون سببه العجب والكبر والغرور والعناد، وهي آفة من آفات النفاق، وصفة من صفات المنافقين.

إنه الكبر والغرور في أبشع صورته، وهو الاعتزاز بالإثم.

يتضح للمرء خطؤه، فيُصِرُّ عليه، ولا يُقَرُّ به، ولا يريد أن يستغفر من سوء ما فعل. نفوسهم الضعيفة تأبى عليهم إلا الإصرار على الإثم، والجمود على الباطل. تأبى عليهم قلوبهم التي امتلأت كبراً وبهتاناً أن تتراجع أمام الحق، ولو بدا للناس جميعاً.

• قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ (البقرة).

يتضح من الآيات أن فريقاً من المؤمنين كانوا ينصحون المنافقين بعدم الإفساد في الأرض، بما يحدثون من فتن وقلقل، وتهيج للحرب، وإحداث للشغب في صفوف المسلمين، وموالات أعداء الله تعالى من أهل الكتاب وغيرهم، فكانوا يزعمون أن ذلك هو الإصلاح، وأنهم ليسوا بمفسدين، وإنما هم مصلحون، ويدعون أن لهم منزلة في الإيمان عن سائر الناس.

• وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ لَهُمْ جَهَنَّمُ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٢٦) (البقرة).

تَشَبَّهَ بِالْإِثْمِ، وَإِصْرَارٌ عَلَى فِعْلِهِ، فَإِذَا ذُكِّرَ بِالرُّجُوعِ أَوْ الْعُدُولِ خَشِيَ اللَّهُ تَعَالَى وَإِرْضَاءً لَهُ، عَمِي قَلْبُهُ، وَازْدَادَ بِهَذَا التَّذْكِيرِ إِثْمًا وَإِصْرَارًا عَلَى الْبَاطِلِ الَّذِي تَشَبَّهَ بِهِ.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا

رُءُوسَهُمْ وَأَنبَتَهُمْ يُصِدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ (المنافقون).

فَالَاغْتِرَارُ بِالْإِثْمِ وَالْاعْتِرَازُ بِهِ آفَةٌ مِنْ آفَاتِ النِّفَاقِ، وَخَصْلَةٌ مِنْ خَصَالِهِ. أَخْرَجَ ابْنُ جُرَيْرٍ عَنِ قَتَادَةَ قَالَ: [قِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي - رَأْسِ النِّفَاقِ - لَوْ أَتَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَغْفِرْ لَكَ، فَجَعَلَ يَلْوِي رَأْسَهُ، فَنَزَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةُ] (١).

أَلَا يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ خَطُورَةَ هَذَا الْكِبْرِ وَالْعُجْبِ وَالْغُرُورِ؟!

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ }؟ قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: { إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ } (٢).



(١) تفسير ابن جرير (٢٣/٤٠٠).

(٢) أخرجه مسلم: ك: الإيمان، ب: تحريم الكبر وبيانها، ح (٩١).

الخصلة الحادية عشرة

(مذبذب، ذو وجهين)

• قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ

شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا كُنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ (البقرة).

ذو الوجهين: شخص حائر مذبذب يلتقي بأحد الفريقين المتباغضين، فيمدحه، ويكيل المدح له، ويسبُّ الفريق الآخر، ويبالغ في الفحش فيه.. حتى إذا التقى بالفريق الآخر فعل معه مثل ما فعل مع الأول. وما أكثر هؤلاء وما أخبثهم!

قال تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ

قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ

لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ (النساء).

وقال تعالى: ﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَمَنْ

يُضِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ (النساء).

قال قتادة رحمه الله: « لَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ مُخْلِصِينَ، وَلَا مُشْرِكِينَ

مُصَرِّحِينَ بِالشِّرْكِ» (١).

عُرِفُوا بِأَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةَ، يَظْهَرُ فِيهِمُ الْجَفَاءُ، وَقِلَّةُ الْعِلْمِ، وَتَرْكُ السَّنَةِ، حَيَارَى سُكَارَى، لَيْسُوا بِيَهُودٍ وَلَا نَصَارَى وَلَا مَجُوسَ، فَهَمُ يُعَذِّبُونَ بِكُفْرِهِمْ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: { تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَتِحُوا، وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فِي هَذَا الْأَمْرِ، أَكْرَهُهُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، وَتَجِدُونَ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَوْلًا بِوَجْهِهِ وَهَوْلًا بِوَجْهِهِ } (٢).

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { مَثَلُ الْمُنَافِقِ، كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً } (٣). فهو كالحرباء المتلونة، لا يُعرف لها لون.

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣٩٠).

(٢) أخرجه البخاري: ك: المناقب، ب: قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ ح (٣٤٩٣ - ٣٤٩٤)، ومسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: خيار الناس، ح (٢٥٢٦).

(٣) أخرجه مسلم: ك: صفات المنافقين وأحكامهم، ح (٢٧٨٤).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: [مَثَلُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ وَالْكَافِرِ مَثَلُ ثَلَاثَةِ نَفَرٍ انْتَهَوْا إِلَى وَادِيٍّ فَوَقَعَ أَحَدُهُمْ فَعَبَرَ، ثُمَّ وَقَعَ الْآخَرُ حَتَّى أَتَى عَلَى نِصْفِ الْوَادِي نَادَاهُ الَّذِي عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي: وَيَلِكَ أَيْنَ تَذَهَبُ؟ إِلَى الْهَلَكَةِ، أَرْجِعْ عَوْدَكَ عَلَى بَدْتِكَ، وَنَادَاهُ الَّذِي عَبَرَ: هَلُمَّ النَّجَاةَ فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى هَذَا مَرَّةً وَإِلَى هَذَا مَرَّةً، قَالَ: فَجَاءَ سَيْلٌ فَأَغْرَقَهُ وَالَّذِي عَبَرَ الْمُؤْمِنُ وَالَّذِي غَرِقَ الْمُنَافِقُ، مُذْبَذَبَيْنِ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هُوْلَاءِ وَلَا إِلَى هُوْلَاءِ وَالَّذِي مَكَثَ الْكَافِرُ] (١).

كما أنهم يمدحون الحكام في وجوههم، ويذمّونهم عند الخروج من عندهم.

عَنْ أَبِي الشَّعْثَاءِ، قَالَ: دَخَلَ نَفَرٌ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَوَقَعُوا فِي يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَتَنَّاوَلُوهُ، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ: هَذَا قَوْلُكُمْ لَهُمْ عِنْدِي، أَتَقُولُونَ هَذَا فِي وُجُوهِهِمْ؟ قَالُوا: لَا بَلْ نَمْدَحُهُمْ وَنُثَنِّي عَلَيْهِمْ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: [هَذَا النِّفَاقُ عِنْدَنَا] (٢).

فهذه خصلة من أذم الخصال وأبشعها، لا يتصف بها إلا ضعاف النفوس، وبغاة المطالب والعروض. الذين يُغريهم المغنم،

(١) تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد الطيب، برقم (٦١٤٤).

(٢) صفة النفاق وذم المنافقين، رقم (٦٢)، ص (١٠٨).

ويصرفهم عن طاعة الله ورسوله، وما أكثرهم في هذا الزمان! وهي داء عضال في الأمة الإسلامية يبتلى به ضعاف النفوس، وطلاب الدنيا، ودعاة السوء والانهمامية.

وهذا التذبذب والتأرجح بين الكفر والإيمان، إنما يكون عن آفة من آفات النفاق، وهي: ضعف البصيرة واليقين في الله ﷻ، وانعدام الرؤية. قال تعالى: ﴿إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٤٩) (الأنفال).

نزلت الآية في غزوة بدر، لما رأى المنافقون أن المسلمين قلة، وأن عدد المشركين يفوق عدد المسلمين بكثير، قالوا هذه القبيلة: ﴿غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ﴾. وهذا القول لا يقوله من صحَّ معتقده، ووثق بربه، وتسامى عن السَّفاسيفِ.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٢) (الأحزاب).

ونزلت هذه الآية في غزوة الأحزاب حين قال قائل من المنافقين: «كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُّنَا أَنْ نَأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَأَحَدُنَا لَا يَقْدِرُ

عَلَى أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَاتِ.

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ (الفتح).

وراء هذا التخلف عن الجهاد وطلب العلم الشرعي حُجج واهية، وظن سيء، طلاب سمعة ورياء وحب للظهور، جمعوا بين اللؤم والحسنة، وتفاهة التفكير ودناءة النفس، وانحطاط الغاية وقصر الأمل. فالويل كل الويل لطائفة هذا شأنها، أساءت الظن بربها وبأهل الحق، وذلك بما كسبت أيديهم، وما انطوت عليه نفوسهم من الكيد والشر للمؤمنين.



الخصلة الثانية عشرة

(السفاهة، والاستهزاء)

(سفاهة الرأي، وفساد العقيدة، والسخرية من المؤمنين أصحاب العقيدة الراسخة والتوحيد الخالص)، هي سمات يتميرون بها:

• قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ (آل عمران).

نزلت هذه الآيات بعد غزوة أحد، بعد أن شاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قُتِلَ. فقال أناس من أهل النفاق: إن كان محمدًا قد قُتِلَ فاحقوا بدينكم الأول، فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك: يا قوم إن كان قُتِلَ محمدٌ، فإن ربَّ محمدٍ لم يُقتل، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وموتوا على ما مات عليه، ثم قال: [اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء] -يعني المسلمين- وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء [يعني المنافقين، ثم شدَّ بسيفه فقاتل حتى قُتِلَ، فنزلت: ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾].

أي ومن يرد عن دين الله ﷻ فلن يضرب الله ارتداده، وسيجزى الله الشاكين أمثال أنس بن النضر (١).

• وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَاقِتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِك حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُمِيتُ وَيُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتْتُمْ لِمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ (آل عمران).

وهكذا يتولى الله تبارك وتعالى الرد على سفاهة رأي المنافقين، وفساد عقيدتهم بأسلوب فيه تبيكيت لهم، وطمأنة للمؤمنين.

• وقال تعالى: ﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِّنْ عِنْدِكُمْ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَالْهُتُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ (النساء).

كان المنافقون إذا أصابتهم حسنة كأن تنتج مواشيهم وحيولهم، ويحسن حالهم، وتلد نساؤهم الغلمان.. ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/ ١١٤)، وتفسير القرطبي (٤/ ٢٢١).

وإن أصابتهم سيئة من جذب وضرر في أموالهم تشاءموا برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقالوا هذه من عندك. يقولون تركنا ديننا واتبعنا محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأصابنا هذا البلاء. فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾. ثم يوبِّخهم الله تعالى ويبيكتهم، ويعجب من هذه الآراء الفاسدة: ﴿ قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (٧٨).

• وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أُنْذِرْنِي وَلَا تَفْتِنِي ۗ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (٤١) (التوبة).
وفي هذه الآية يتضح مدى السفاهة التي تصدر عنها آراؤهم، والفساد الذي ينبع من عقيدتهم.

• وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ ۗ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١١) (التوبة).

قيل: إنها نزلت في بعض المنافقين الذين يستمعون إلى حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم ينقلون هذا الحديث إلى المنافقين.

• وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ

وَنَلْعَبُ^٤ قُلْ أِبَالَهُ^٥ وَعَآئِنَهُ^٦ وَرَسُولِهِ^٧ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ
 كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ^٨ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَآئِفَةٍ^٩ مِنْكُمْ نَعَذِّبْ طَآئِفَةً^{١٠} بِآثَمِهِمْ
 كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ (التوبة).

نزلت هذه الآيات في بعض المنافقين، والنبى صلى الله عليه وسلم منطلق إلى غزوة تبوك. فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر (يعنى الروم) كقتال العرب بعضهم بعضاً... والله لكأننا بكم غداً مقرنون في الحبال. إرجافاً وترهيباً للمؤمنين.

وقال بعضهم: ما بال قرائنا أوسعنا بطوناً، وآخرنا صفوفاً، وأجبنا عند اللقاء، فأرسل إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر رضي الله عنه، فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه، فقال ودیعة بن ثابت (وكان من المنافقين): « يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ».

وسبحان الله! تتكرر هذه السخرية وهذا الاستهزاء في هذا الزمان تارة بأهل السنة، وأخرى بأحكام الإسلام وشرائعه، وأخرى برسوله صلى الله عليه وسلم، ولقد أشار القرآن إلى أن هذا الاستهزاء صفة ملازمة للمجرمين من المنافقين.

فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾

وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٣٠﴾ (المطففين).

كما أنها صفة ملازمة للكفار. قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣١﴾﴾ (البقرة).



الخصلة الثالثة عشرة

(قَلَّتْ الْاهْتِمَامُ بِمَجَالِسِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ)

استهزاءً وتهاوؤًا بكلام الله تعالى، وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ (محمد).

وهذا داء قد انتشر حتى بين طلبة العلم، فضلا عن العوام، فإذا سألت أحدهم بعد خطبة الجمعة مثلاً عن موضوع الخطبة، وفيما تحدث فيه الشيخ، وما الدروس المستفادة من هذه الخطبة؟ تجده تائهاً سارحاً ذهنه، لا يستحضر جواباً، كأنه جاء لقضاء بعض الوقت في نزهة في المسجد ثم عاد منه.



الخصلة الرابعة عشرة

(الردة)

• قال تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٨٦) ﴿ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (٨٧) ﴿ خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَخْفَى عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ (٨٨) ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٨٩) (آل عمران).

• وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ (٩٠) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (٩١) (آل عمران).

نزلت هذه الآيات في أقوام أسلموا نفاقًا، ولكنهم ما لبثوا أن تخلَّوا عن دينهم، وارتدوا عن عقيدتهم، ومنهم منافق بني حنيفة (الرجال بن عَنُفُوَة) الذي قدم مع وفد بني حنيفة، وأسلم وتعلم القرآن من أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعاد إلى اليمامة ليعلم قومه

أمور دينهم، وما كاد يظهر كذاب اليمامة (مسيلمة الكذاب) حتى أسرع هذا المنافق يؤيده ويناصره، ويتوافد القوم ضعاف الإيمان والجهلة بأمور الدين ليسأله، فيؤكد لهم أن مسيلمة نبي، وشريك محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأمر؛ فيتكاثر الناس حول مسيلمة ينصرونه بدينه المزعوم، وما ذلك إلا بفضل مجهودات ذلك المنافق الأثيم (الرَّجَالُ بْنُ عُنُقُوة) (١). وسيأتي تأكيد هذه الردّة عند الحديث عن موالاته المنافقين للكافرين.

ويتبع هذه الردة:

(الاضطراب والتردد في العقيدة):

هذا الاضطراب في العقيدة أمر لا يتصف به إلا من داعب النفاق قلبه. قال تعالى: ﴿مُدْبِذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ (النساء).

وقال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١٧) ﴿صُمُّ بِكُمْ عَمَىٰ فَهُمْ لَا

(١) أورده ابن سعد في الطبقات الكبرى، راجع تفسير ابن جرير، وابن كثير في هذه الآيات.

يَزِجُوهُمْ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ (البقرة).

ضرب الله تعالى مثلين في هذه الآيات للمنافقين.

الأول: كرجل أوقد نارًا، فأضاءت له ما حوله، وانتفع بها، وأبصر بها. وبينما هو كذلك إذ أطفئت ناره؛ فأصبح في ظلام دامس يتخبط في حيرة من أمره. وكذلك المنافق يؤمن ثم يكفر. يجار ويتردد.

والثاني: شبه قلب المنافق بالمطر فيه ظلمات، ورعد، وبرق.

ظلمات: لما يلبسه من الشكوك والكفر والنفاق.

ورعد: وهو ما يزعج المنافقين من الخوف والجبين.

وبرق: وهو ما يُلْمُّ في قلوب هؤلاء المنافقين أحيانًا من نور

الإيمان وضوء الحق وبريقه.

شبه الله سبحانه هذه الحالة برجل وجد في هذا الجو من المطر

الذي تصحبه الظلمات والرعد والبرق، فإن لمع ضوء البرق

واصل سيره، وإلا تحير وتخبط من شدة الظلام.



أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يُصَدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا
 ﴿١١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ
 جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا أَحْسَنًا وَتَوَفِّيْنَا ﴿١٢﴾ أَوْلِيَاكَ
 الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ
 فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿١٣﴾ (النساء).

فقد سمى الله تعالى من اختار التحاكم إلى غير الله ورسوله
 تحاكماً إلى الشيطان (الطاغوت)، فكان المنافقون يؤثرون حكم
 الكهنة، ويؤثرون حكم الطاغوت (وهو كل باطل) على حكم الله
 تعالى، وانظر وتأمل في هذه الآيات، كيف أمر الله رسوله
 بالإعراض عن هؤلاء المنافقين، لأنه لا يحترم التحاكم إلى الله
 ورسوله إلا المؤمن الثابت صحيح الإيمان نقي العقيدة مما يشوبها.

• قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا
 شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا
 تَسْلِيمًا﴾ ﴿١٥﴾ (النساء).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُقَسِّمُ تَعَالَىٰ بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ الْمُقَدَّسَةِ أَنَّهُ
 لَا يُؤْمِنُ أَحَدٌ حَتَّىٰ يُحَكِّمَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ،
 فَمَا حَكَمَ بِهِ فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي يَجِبُ الْإِنْقِيَادُ لَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَهَذَا

قَالَ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا أَيْ
 إِذَا حَكَّمُوكَ يُطِيعُونَكَ فِي بَوَاطِنِهِمْ فَلَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا
 مِمَّا حَكَّمْتَ بِهِ، وَيُنْقَادُونَ لَهُ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، فَيُسَلِّمُونَ لِذَلِكَ
 تَسْلِيمًا كَلِيمًا مِنْ غَيْرِ مُمَانَعَةٍ وَلَا مُدَافِعَةٍ وَلَا مُنَازَعَةٍ «(١).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ خَاصَمَ
 الزُّبَيْرَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَرَاخِ الْحُرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ
 بِهَا النَّخْلَ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: سَرَّحَ الْمَاءَ يَمُرُّ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ،
 فَاحْتَصَمُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 لِلزُّبَيْرِ: {اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ}، فَغَضِبَ
 الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ كَانَ ابْنُ عَمَّتِكَ؟، فَتَلَوْنَ وَجْهَهُ
 نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: { يَا زُبَيْرُ اسْقِ، ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ
 حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجُدْرِ }، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ
 نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ
 بَيْنَهُمْ...﴾ (٢).

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣٠٦).

(٢) أخرجه البخاري: ك: الشرب والمساقاة، ب: سكر الأنهار، ح (٢٣٥٩)،
 ومسلم: ك: الفضائل، ب: وجوب اتباعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح (٢٣٥٧).

وتأمل في هذه الآية: كيف نفى الله تعالى صفة الإيثار عن الذين يرغبون عن حكم الله ورسوله، وأقسم على ذلك بذاته المقدسة أنهم لن يكونوا مؤمنين حتى يرضوا بحكم الله ورسوله، وينزلوا عليه.

• وقال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحُوقُ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعَبِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (النور).

انظر كيف وصفهم بمرض القلب (النفاق) ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، ثم بالشك ﴿أَرْتَابُوا﴾، ثم بضعف العقيدة والظن السيئ ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ﴾، والله سبحانه هو أحكم الحاكمين، الحكم العدل، ثم ختم ببيان حكمه ووصفه لهم بالظلم ﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

إن المنافقين ما كان لهم أن يرضوا بحكم الله ورسوله، بل يضعون العراقيل، ويتعللون بأسباب واهية، بل قد يتعمدون تشويه صورة حكم الله ورسوله، جحودًا وتكذيبًا.

فالرغبة عن حكم الله وحكم رسوله: آفة النفاق وشعبته

الواضحة، يستكثرون على الله تعالى اسمه (الحكم)، فيعطلون هذا الاسم، وهذه الصفة للذات العلية جلّ وعلا.

أليس الخالق هو الأحق بحكم خلقه؟! أليس هو سبحانه الأحق بالأمر؟ ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف).

الذي خلق سبحانه أعلم بخلقته ﴿قُلْ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾، فشرع لهم من الأحكام والحدود ما فيه صلاح حالهم وأمنهم وسعادتهم.

أليس هو القائل: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ (التين)؟! ثم بعد ذلك يُعْرِضُ هُوَ لِأَنَّ الَّذِينَ مَلَأُوا النَّفَاقَ قُلُوبَهُمْ وَعَقُولَهُمْ - عن حكم الله تعالى إلى حكم الجاهلية الأولى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا الْقَوْمِ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة)؟!.

أليس هو الربّ المستحقّ للتشريع؟! قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الشورى).

ألم يعلموا أن من لم يحكم بما أنزل الله متردّد بين الكفر والظلم

والفسق، وكل ذلك من الجاهلية؟!

﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

﴿ أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

(المائدة).

ألم يجعل المولى سبحانه من مقاصد بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يحكم بين الناس بما أراه الله، ولا يتبع أهواءهم، ولا يكون للخائنين خصيماً؟. قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلخَائِنِينَ خَصِيماً ﴿١٠٥﴾ ﴾ (النساء).

وقال تعالى: ﴿ وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ

بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وِليٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الرعد).

ألم يعلم هؤلاء أن من سبب هلاك الأمم السابقة تلاعبهم بحدود الله تعالى. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ

الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ { (١) .

فهؤلاء كان سبب هلاكهم إقامة الحدود على الضعفاء دون الأقوياء، فما بالك بمن ترك الحدود بالكلية؟! ألم يعلموا أن حدًّا يُقام في الأرض خير من أن يُمطروا ثلاثين صباحًا؟!

فالبركة والرزق والنماء والأمن وتحقيق الاستقرار يكون في تحكيم شرع الله تعالى، بينما الهلاك والخسران، والمعيشة الضنك، والفرقة، وجرأة الفساق والبلطجية يكون في غياب شرع الله تعالى. إن وراء عدم تطبيق الشريعة منافقين، مُلِئَتْ قُلُوبُهُمْ بَغْضًا وحقداً للإسلام والمسلمين، وخوفًا على مصالحهم ومكاسبهم التي جمعوها من حلال أو حرام، بتجارة أو شطارة، وهيئات هيئات أن تحوي قلوب المنافقين خيرًا!

وما العيبُ في شرع الله تعالى؟ أم أنه إرضاء لقوى الشرِّ والإرهاب في الأرض من أعداء الله وأعداء رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! أيهما أحبُّ: مصلحة الوطن (أمنه وسلامته)، أم مصلحة فئة

(١) أخرجه البخاري: ك: أحاديث الأنبياء، ب: حديث الغار، ح (٣٤٧٥)، ومسلم: ك: الحدود، ب: قطع السارق الشريف وغيره، ح (١٦٨٨).

من المنافقين لا تعمل إلا لمصلحتها فقط؟!

ويكفينا قول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ

فَاتَّبَعَهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴿الجاثية﴾.

• وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ

مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمْ آرَأَيْتُمْ أَنَّمْ

يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمُ رِسُولُُهُمْ بَلْ أَوْلَتْكُمُ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (النور).

يتضح لنا أن المنافقين لا يرضون بحكم الله ورسوله، وإذا علموا أنه سيقضي لهم جاءوا ليتحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان غير ذلك بحثوا عن غيره، ورفضوا التحاكم إليه، رغبة في ترويح باطلهم ظلمًا وجورًا، فبين الله تعالى لنا حقيقتهم: أفى قلوبهم مرض من النفاق والشك والريب؟!، أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله؟! ثم يعقب الله سبحانه وتعالى على من يفعل ذلك بقوله: ﴿بَلْ أَوْلَتْكُمُ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

أقوام يريدون أن يُحْكَمَ لهم، سواءً أكان معهم الحق أم لا!

فهل هناك أظلم من المنافقين بعد الشرك بالله تعالى؟!

تجد الواحد منهم أشدَّ حرصًا على التعدي على حقوق المسلمين،

ومصادرة أموالهم، ولا يجرؤ على فعل ذلك مع غير المسلمين،

ويتجاهل حكم الله تعالى فيما يفعل: ﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: « قَرَأْتُ فِي الزُّبُورِ: بِكِبْرِيَاءِ الْمُنَافِقِ يَحْتَرِقُ الْمُسْكِينُ، وَقَرَأْتُ فِي الزُّبُورِ: إِنِّي أَنْتَقِمُ لِلْمُنَافِقِ بِالْمُنَافِقِ، ثُمَّ أَنْتَقِمُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ جَمِيعًا، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ

الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٣) ﴿ (الأنعام).

وَقَالَ مَالِكُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: « يَا مَعْشَرَ الظَّالِمَةِ لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ ذِكْرِي حَتَّى تَنْزَعُوا عَنِ الظُّلْمِ، فَإِنِّي رَوَاتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ أَذْكَرَ مَنْ ذَكَرَنِي، فَإِذَا ذَكَرُونِي ذَكَرْتَهُمْ بِرَحْمَتِي، وَإِذَا ذَكَرْتُمُونِي ذَكَرْتَكُمْ بِلِعْنَتِي » (يعنى: المنافقين) (١).

وقوله: [روأت] قال في مختار الصحاح: روى في الأمر تروية، نظر فيه وتفكر.



(١) صفة النفاق ودم المنافقين، رقم (٤٥)، ص (٨٨)، وسير أعلام النبلاء (١٢/١٣٢)، وحلية الأولياء (٢/٣٧٦).

(*) فائدة: وهذا الأثر مع صحة إسناده هو من الإسرائيليات، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: ﴿ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا..﴾ } البقرة. أخرجه البخاري: ك: التفسير، ح (٤٤٨٥).

الخصلة السادسة عشرة

(موالاة ومظاهرة أعداء الله)

قال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَغُوتُ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩) (النساء).

كان المنافقون في زمن النبوة المبارك يقول بعضهم لبعض - في مشهد يتكرر الآن تمامًا -: «لا ينمو أمر محمد فتولوا اليهود»، فكانوا يصانعون اليهود ليأمنوا جانبهم إذا ما كانت الدائرة على المسلمين، وما ذلك إلا خشية على أموالهم وأولادهم. ولذلك يقرعهم الله تعالى، ويوبخهم تسفيهاً لعقولهم، وأن ذلك ذلٌّ وليس عِزَّةً: ﴿أَيْبَغُوتُ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

• وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهٗؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا

بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۖ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ ﴿٥٧﴾
(المائدة).

ولم أر آية في غاية الوضوح مثل هذه الآية الذي نبذها كثير من المنافقين اليوم وراء ظهورهم. كان الحديث عن موالاتة اليهود والنصارى خطأ أحمر، وجريمة يُعاقب عليها قانون الغاب الذي يشرعونه لمصالحهم معهم.

وقد ورد في هذه الآيات النهي المطلق عن موالاتة اليهود والنصارى، خوفاً وجبناً، ورغبة في النصر، وتقية، ولا بد أن نفرّق بين الموالاتة التي حرّمها الله ورسوله، وبين البرّ والقسط فيهم، ولا تستغرب أو تتعجب إن عبر الله تعالى عن هذه الموالاتة بالردة عن الإسلام. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آرْتَدُوا عَلَىٰ آدْبُرِهِمِ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ ۗ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۗ﴾ ﴿٥٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٦٣﴾ (محمد).

ارتدوا على أدبارهم بعد الإيذان والهدى، وذلك بقولهم لليهود: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾. يناصحوهم في الباطن

على الباطل، ويظهرون للمؤمنين إيمانهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾
والله يعلم ما كتموه في قلوبهم من مصانعة لليهود، والحب لهم،
والتعاون معهم، والتقارب والاتحاد ضد المؤمنين.

• وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَاهُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ (المجادلة).
وهذا هو عين النفاق، وتلك هي شر الخصال.

ولقد عبّر القرآن عن هذه الموالاة بالإفساد في الأرض، وهو
من أشهر آفات النفاق وصفات المنافقين

(الإفساد في الأرض)

• قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ
الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٥﴾﴾ (البقرة).

﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ أي أدبر عنك وانصرف، أو ولاه الله بعض الأمر
﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ كما يفعل
ولاية السوء من الظلم والتعسف وحب الشر والتقتيل والإتلاف.

• وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ

مُضْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾
(البقرة).

نوع آخر ولون جديد من معاني الإفساد في الأرض، وهو تقاربهم وموالاتهم لأعداء الله ﷻ وأعداء رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

• وقال تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿١١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿١٢﴾﴾ (محمد).

وقد جاءت هذه الآية تساءل المنافقين، مؤكدة أنهم إذا تولوا أمور الناس، أو كان لهم بعض ذلك، فهل يسعون إلا إلى الفساد في الأرض وتقطيع الأرحام؟.

فالمنافقون لديهم رغبة شديدة في الفساد والإفساد.

فالإفساد في الأرض شعبة من النفاق، وآفة من آفات المنافقين.



الخصلة السابعة عشرة

(الانشغال بالدنيا عن الجهاد)

يُغري المنافقين حطامُ الدنيا وتكالبهم عليه... أغرتهم المنازل والقصور،
والثمار والزروع، وما يملكون من أموال وأعمال وشركات.

حينما يدعو داعي الجهاد، تسارع النفوس المؤمنة رغبة في لقاء
ربها، وثواب الشهادة، ومنزلة الشهداء مع النبيين والصديقين
والصالحين، تاركة الأموال والأبناء في كنف الله ورعايته.

لكن أقوامًا تلهيهم الفانية عن الباقية.. فراش وثير، شهوات
وملذات.. أطماع.. أصحاب عقائد ضعيفة تزين لهم البقاء
المؤقت للتمتع بهذه اللذات الفانية والمتع الفانية التافهة... يُغريهم
ذلك ليتقاعدوا مع الخوالب، وليركنوا بجوار النساء. أولئك
عجزت عقولهم عن فهم الحقيقة العليا للحياة، وتضاءلت
نفوسهم عن فهم السرِّ الحقيقي للسعادة والرفاهية.

قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ
وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (آل عمران).

جاءت هذه الآية ردًا على رأس النفاق ابنِ سلول ومن معه،

حينما تقاعدوا وتخاذلوا عن الجهاد والسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القتال، ثم عابوا على الذين استشهدوا في سبيل الله، قائلين: ﴿لَوْ اطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾، فجاءت هذه الآية تبكتهم على هذا الاعتقاد الفاسد، ثم تخاطب المؤمنين: ﴿وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الأحزاب).

وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِرٍ لِنَأْخُذُواهَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ نَتَّبِعُونَكَ كَذَلِكَ قَالِ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَكَ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الفتح).

احتجاج غريب في نوعه، محض اختلاق. أليس للمسلمين جميعاً أهل وأموال؟! أليس معنى هذا ألا يكون هناك كفاح، وألا تكون هناك تضحية؟ ما أحقر هذه العقول!. أليس لأهل الكفر جيوش تقاتل من أجل الباطل، ونشر وفرض الهيمنة على العالم

بالقوة والبطش؟ أليسوا ينفقون المليارات في الصدّ عن سبيل الله،
والتبشير بديانتهم المحرفة والباطلة؟!

رحم الله من قال: « وأيم الله لو لم يكن في الأرض أبالسة
وشياطين لكان المنافقون هم شياطينها وأبالستها! ».

فالتخلف عن الجهاد بغير عذر شرعي - كالضعفاء والمرضى
والذين لا يجدون ما ينفقون أصحاب الأعدار - صفة ملازمة
للمنافقين. قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى
الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى
الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ١١ ﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا
آتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أُجِدُّ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ
تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ١٢ ﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى
الَّذِينَ يَسْتَفْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رِضْوَانًا يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ
اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٣ ﴾ (التوبة).

• وقال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ
بَدَدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ
يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ٤٢ ﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ
لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكَاذِبِينَ ٤٣ ﴾ لَا

يَسْتَعِزُّنَاكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَعِزُّنَاكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضِعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَهُ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَكْفُرُ أَتَدْنِي لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴿التوبة﴾.

تتحدث الآيات عن الذين تخلفوا عن غزوة تبوك من المنافقين. ما تخلفوا إلا لأنهم لم يتوقعوا سفراً قصيراً ولا غنيمة قريبة، لكنهم استبعدوا الخروج إلى الشام لما فيه من مشقة وما يتوقعونه من شدة الأعداء. فبين الله تعالى أن الذين يستأذنون في التخلف عن الجهاد هؤلاء أقوام لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، شكت قلوبهم في دين الله ﷻ.

• قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلْفَ رَسُولِ اللَّهِ

وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ
 قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا
 كَثِيرًا جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ (التوبة).

في هذه الآيات بيان لصورة عجيبة لتخلفهم، حيث يوحى بعضهم إلى بعض بالأى ينفروا في الحر، لكن الله تعالى يتوعددهم بجهنم التي هي أشد حرًا، ثم يبكتهم ويهددهم بقوله: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾.

أى فليضحكوا قليلاً في الدنيا، ولكن سوف يكون بكاءؤهم في الآخرة كثيراً وطويلاً لما عملوه من أعمال سيئة.



ويتفرع عن هذه الخصلة (الانشغال بالدنيا عن الجهاد)، آفة:

(عدم الصبر على الفتن والنكبات)

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ (الحج).

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ

فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ
 أَوْلَىٰ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
 وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ (العنكبوت).

من صفات النفاق الجليلة الواضحة: أنهم إذا أصابتهم السَّراء والنعماء استبشروا وفرحوا... وإن وقع بهم الضرُّ تشاءموا وسخطوا وضجروا، لا طاقة لهم على تحمل الأذى في سبيل الله تعالى، أو الصبر على الفتن والشدائد على ما فيها من خير، ولكن ليس ذلك الخير للمنافق، بل للمؤمن فقط، الذي ينال معية الله تعالى ومحبه ورحمته ورفقة ملائكته، وتكفير سيئاته، ومغفرة ذنوبه، ويتعلم فن الدعاء والإخلاص فيه، ويفرح بعون الله، فيصبر ويرضى ويشكر، ويقينه أن الأيام دول، لكن المنافقين هكذا خلقهم وصفتهم، إن أعطوا من الدنيا رضوا، وإن مُنِعوا إذا هم يَسْخَطُونَ.



الخصلة الثامنة عشرة

(مفارقة الجماعة المؤمنة)

• قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور).

وقال مقاتل بن حيان رحمه الله في قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾: «هم المنافقون كان يتقل عليهم الحديث في يوم الجمعة، ويعني بالحديث الخطبة، فيلوذون ببعض أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حتى يخرجوا من المسجد، وكان لا يصلح للرجل أن يخرج من المسجد إلا بإذن من النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة بعد ما يأخذ في الخطبة، وكان إذا أراد أحدهم الخروج أشار بإصبعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيأذن له من غير أن يتكلم الرجل، لأن الرجل منهم كان إذا تكلم والنبي صلى الله عليه وسلم يحط بطلت جمعة. وقال السدي: كانوا إذا كانوا معه في جماعة لاذب بعضهم ببعض حتى يتغيبوا عنه فلا يراهم» (١).

وقد قال الله تعالى قبل هذه الآية: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور).

عن عروة بن الزبير، ومحمد بن كعب القرظي قالوا:

« ... لَمَّا أَقْبَلْتَ قُرَيْشٌ نَزَلُوا بِجَمْعِ الْأَسْيَالِ مِنْ رُومَةَ بَنِي الْمَدِينَةِ، قَائِدُهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَأَقْبَلْتَ غَطَفَانَ مَعَهَا عِيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ، حَتَّى نَزَلُوا بِنَقَمَيْنِ إِلَى جَانِبِ أَحَدٍ، فَلَمَّا نَزَلُوا بِذَلِكَ الْمَنْزِلِ وَقَدْ كَانَ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبْرُ بِمَا أَجْمَعَتْ لَهُ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ، فَضَرَبَ الْحَنْدَقَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَعَمِلَ فِيهِ تَرْغِيبًا لِلْمُسْلِمِينَ فِي الْأَجْرِ، وَعَمِلَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ فَدَابَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَأَبُوا، وَأَبْطَأَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي عَمَلِهِمْ ذَلِكَ: رِجَالٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَجَعَلُوا يُورُونَ بِالضَّعِيفِ مِنَ الْعَمَلِ، فَيَتَسَلَّلُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا إِذْنٍ، وَجَعَلَ

الرَّجُلِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِذَا نَابَتِ النَّائِبَةُ مِنَ الْحَاجَةِ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْهَا
يَذْكُرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي اللُّحُوقِ
بِحَاجَتِهِ فَيَأْذِنُ لَهُ، فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ رَجَعَ إِلَى مَا كَانَ فِيهِ مِنْ عَمَلِهِ
رَغْبَةً فِي الْخَيْرِ وَاحْتِسَابًا لَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَوْلِيكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ
يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ
لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور) (١).

يتخلف عن صلاة الجماعة، ولا يتم خشوعها إلا أمام الناس،
فإذا خلا نقرها نقر الغراب، أو قد لا يصلي البتة.



الخصلة التاسعة عشرة

(قلته الذكر، والتكاسل عن أداء الصلاة، وعصيان الأوامر والرياء)

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٤٢) ﴿النساء﴾.

كان المنافقون يتكاسلون عن صلاتي العشاء والفجر خصوصًا، وكانوا يحضرون صلاة النهار، لا تعبدًا، ولكن رياءً وتمويهًا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لَيْسَ صَلَاةٌ أَثْقَلُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا} (١).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَتُقَامَ، ثُمَّ أَمْرَ رَجُلًا فَيَصِلِيَّ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ

(١) أخرجه البخاري: ك: الأذان، ب: فضل العشاء في الجماعة، ح (٦٥٧).

الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بِوُيُوتِهِمْ بِالنَّارِ { (١).

وفي رواية أخرى لمسلم: { وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْمًا سَمِينًا لَشَهِدَهَا } (٢). يَعْنِي صَلَاةَ الْعِشَاءِ.

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: [كُنَّا إِذَا فَقَدْنَا الْإِنْسَانَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَالْعِشَاءِ أَسَانَا بِهِ الظن] (٣).

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيَحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنْنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنْكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحَسِّنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمُدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يُخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةٌ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلِّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النَّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يَقَامَ فِي

(١) أخرجه مسلم: ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: فضل صلاة الجماعة، ح (٦٥١).

(٢) نفس التخريج السابق.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم (٢٠٩٩)، وابن خزيمة في صحيحه، رقم

(١٤٨٥). وصححه الحاكم في المستدرک، ح (٧٦٤).

الصَّفِّ] (١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: « إن كثرة ذكر الله ﷻ أمان من النِّفاق، فإن المنافقين قليلو الذكر لله ﷻ. قال الله ﷻ في المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. وقال كعب: « من أكثر ذكر الله ﷻ فقد برئ من النِّفاق »، ولهذا - والله أعلم - ختم الله سورة المنافقين بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١﴾﴾ (المنافقون).
 فإن في ذلك تحذيرًا من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله ﷻ، فوقعوا في النِّفاق.

وسئِل بعض الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عن الخوارج: منافقون هم؟ قال: لا، المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلًا، فهذا من علامة النِّفاق: قلة ذكر الله ﷻ، وكثرة ذكره أمان من النِّفاق، والله ﷻ أكرم من أن يتلى قلبًا ذاكرًا بالنِّفاق، وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله ﷻ» (٢).

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ

(١) أخرجه مسلم: ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: صلاة الجماعة من سنن الهدى (٦٥٤).

(٢) الوابل الصيب من الكلام الطيب لابن القيم، ص (٨٠-٨١).

حَتَّىٰ إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنِي الشَّيْطَانِ، قَامَ فَفَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لَا يَذُكُرُ اللَّهُ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا {١}.

• وقال تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ

سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ (الماعون).

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيره: [هُمُ الْمُنَافِقُونَ يُرَاءُونَ النَّاسَ بِصَلَاتِهِمْ إِذَا حَضَرُوا، وَيَتْرَكُونَهَا إِذَا غَابُوا، وَيَمْنَعُونَهُمُ الْعَارِيَةَ بَغْضًا لَهُمْ، وَهِيَ الْمَاعُونَ] (٢).

وقال عطاء بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ: « الحمد لله الَّذِي قَالَ: ﴿عَنْ

صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، وَلَمْ يَقُلْ فِي صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ » (٣).

وقوله: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ يحتمل أنهم يؤخرونها إلى آخر

وقتها، أو يجمعون بين الظهر والعصر بغير إذن، أو بين المغرب والعشاء بغير عذر، أو يتكاسلون عن صلاة العصر حتى قرب غياب الشمس، أو ساهون عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها.

(١) أخرجه مسلم: ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: استحباب التبكير بالعصر، ح (٦٢٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم (١٤٤٩٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٤٦٨/٨).

قال ابن كثير في تفسيره: « وَلَعَلَّهُ إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى الْقِيَامِ إِلَيْهَا مُرَاءَاةَ النَّاسِ لَا ابْتِغَاءَ وَجْهَ اللَّهِ، فَهُوَ كَمَا إِذَا لَمْ يَصِلْ بِالْكَلِيَّةِ » (١).

أما (عصيان الأوامر)؛

فهم يَعصون أوامر الله تعالى، وأوامر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يتبعون أقوال أهل العلم والتقى.

لذلك فالمنافق موصوف: بعبادة الهوى، وترك السنة، بل قد يبغضها، فهو لا يهوى شيئاً إلا ركبه. اتخذ إلهه هواه، كما أنه يبغض أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَعَنْ قَتَادَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا﴾ (الفرقان). قَالَ: « إِذَا هَوَى شَيْئًا رَكِبَهُ ». وَقَالَ الْحَسَنُ فِي الْآيَةِ: « هُوَ الْمُنَافِقُ لَا يَهْوَى شَيْئًا إِلَّا رَكِبَهُ » (٢).

وَعَنْ وَهَبِ بْنِ مُنْبِهِ قَالَ: « صِفَةُ الْمُنَافِقِ: تَحِيَّتُهُ لِعَنُوهُ، وَطَعَامُهُ سُحْتٌ، وَغَنِيمَتُهُ غُلُولٌ، صَخَبٌ بِالنَّهَارِ، خَسْبٌ بِاللَّيْلِ » (٣).

(١) تفسير ابن كثير (٤٦٨/٨).

(٢) قول قتادة: أخرجه الفريابي في صفة النفاق، رقم (٤٤)، ص (٨٨).

وقول الحسن: أخرجه الذهبي في السير (٤/٥٧٠، ٥٧١) وابن الجوزي في ذم الهوى (ص: ١٧). صفة النفاق وذم المنافقين، رقم (٤٣)، وص (٨٧).

(٣) المصدر السابق، رقم (٥٨)، ص (٩٩).

وأما: (اتباع الهوى):

فهو من أخطر الآفات، وأكثرها ضرراً. فليس أمام العبد إلا: اتباع الوحي، أو اتباع الهوى، ولا ثالث لهما، وهما نقيضان لا يجتمعان. قال تعالى في شأن المنافقين: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۗ﴾ (١٦) ﴿محمد﴾.

تأمل قوله تعالى: ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، فلا يدخلها الهدى، ثم أتبعها ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾. إنه العزوف عن أوامر الله تعالى، وعدم الرضوخ للحق، والانقياد الأعمى للشيطان مصدر الهوى لديهم، والتقليد الأعمى، والتشبه بالكفار، والإعجاب بهم. فالمنافق موصوف: بعبادة الهوى، وترك السنَّة، بل قد يبغضها، فهو لا يهوى شيئاً إلا ركبه. اتخذ إلهه هواه.

قال الحسن: «المنافق لا يهوى شيئاً إلا ركبه، فهو يعبد هواه». ولقد حذر الله تعالى الرسل والأنبياء من اتباع الهوى أو اتباع أهواء الذين ظلموا: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (ص: ٢٦). وبدلاً من أن يكون الله تعالى هو المعبود وحده، وهو مصدر

التلقي للنفس المؤمنة للاعتقاد، والأوامر والمنهيات، والعبادات، يستبدل به المنافق اتباع الهوى، وما تمليه عليه رغبات نفسه وشهواته وملذاته، حتى يصير إلهه هواه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ (الجاثية ٢٣).

وأما (الرياء):

فهو شعبة من شعب النفاق، وصفة ملازمة للمنافقين، وفرق واضح بين المؤمن الذي يعبد الله ﷻ إخلاصًا وتجردًا من شوائب الرياء والعجب والشرك، وبين المنافق الذي يغلب الرياء والسمعة على عبادته.

فالمنافقون لا يتعبدون إلا رياء وسمعة، لا عن تُقَى وَوَرَعٍ، فلا يصلون، ولا ينفقون إلا رياء الناس، ولا يقاتلون رغبة في التضحية والنصر، وإنما يغلب عليهم الجبن والرياء.

والرياء: فرق واضح وجلي بين أعمال المؤمنين وأعمال المنافقين.

• قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا

فَسَاءَ عَرِيْنَا ﴿٣٨﴾ ﴿النساء﴾.

يراعون بالصلاة، إن فاتتهم لم يأسوا عليها، يرى البدن خاشعاً، والقلب ليس بخاشع.

ويمنعون زكاة أموالهم، فتكون أموالهم مما يكوى به جباههم وظهورهم وجنوبهم يوم القيامة.

إذا زُكِّي أحدهم بما ليس فيه ارتاح قلبه وقبله، عكس حال المؤمن إذا زُكِّي بما ليس فيه، حيث يقول: « اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، فإنك تعلم وهم لا يعلمون ».

• قال تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ

يَفْعَلُوا أَفَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازٍ مِنَ الْعَذَابِ لَّهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴿آل عمران﴾.

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ الْهَدَلِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [إِنَّ الْمُنَافِقَ لِيَصِلِّي فَيَكْذِبُهُ اللَّهُ ﷻ، وَيَصُومُ فَيَكْذِبُهُ اللَّهُ ﷻ، وَيَتَصَدَّقُ فَيَكْذِبُهُ اللَّهُ، وَيُجَاهِدُ فَيَكْذِبُهُ اللَّهُ، وَيُقَاتِلُ فَيُقْتَلُ فَيَجْعَلُ فِي النَّارِ] (١).



الخصلة العشرون

(القدح في أعراض المسلمين، وايدأؤهم، وتتبع عوراتهم، وتعييرهم، واللمز والهمز، والبذاء)

فهذه ستُّ آفات من آفات النَّفاق، قريبة المعاني والمباني، وإليك بيانها:

(١) القدح في أعراض المسلمين:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ (النور).

عشر آيات نزلت في بيان حادثة الإفك، وهو موقف مما يتخذه المنافقون من مواقف: يتحدثون بالإفك، ثم يُرجفون به ويُشيعونه بين المسلمين.

وقصة الإفك وردت في الصحيحين وغيرهما، وهي من القصص التي تدمع فيها العين، ويبكي فيها الفؤاد، حيث تحكي الدور الذي

لعبه المنافقون في هذه الحادثة، ولم يكن لها ضحية إلا أم المؤمنين الطاهرة العفيفة (عائشة) رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وصحابيٌّ بدريٌّ جليل هو (صَفْوَانُ بن المَعْطَلِ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وشارك في هذا الإثم بعض المسلمين، منهم: مِسْطَح بن أَنَاثَةَ ابن خالة أبي بكر الصديق، وحمنة بنت جحش، وحسان بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

فشل المنافقون في محاربة الإسلام علانية، وفشلت محاربتهم للمسلمين سرًّا، فلجأ المنافقون إلى أسلحة دنيئة، وحيلٍ خسيسة، وأغراضٍ دنيئة، بإثارة الشكوك والرَّيبِ في بيت النبوة، وآل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن الله وَجَّكَ جعل في ذلك الخير، كما قال تعالى:

﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

(٢) إيذاء المؤمنين:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا

فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بِهْتَانًا وَإِنَّمَا مِينَا﴾ (الأحزاب).

وتتجلى مظاهر هذا الإيذاء في السُّخْرِيَةِ منهم. قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ

وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴾ (التوبة).

قال ابن كثير رَحْمَةُ اللَّهِ: « وهذا أَيضًا مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ لَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنْ عَيْبِهِمْ وَلَزِمَهُمْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، حَتَّى وَلَا الْمُتَّصِدُّونَ يَسْلَمُونَ مِنْهُمْ، إِنْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِمَالٍ جَزِيلٍ قَالُوا هَذَا مِرَاءٌ، وَإِنْ جَاءَ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ قَالُوا: إِنْ اللَّهُ لَغَيٌّ عَنِ صَدَقَةِ هَذَا» (١).

قال الله تعالى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعَا أَزْوَاجَهُمْ وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٤٨) ﴿الْأَحْزَابِ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٥٧) ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (٥٨) ﴿الْأَحْزَابِ﴾.

يتضح لنا من هذه الآيات أن إيذاء المنافقين للمؤمنين إنما يكون بالسخرية أو الاستهزاء منهم، أو افتراء الكذب عليهم، أو القدح في حقهم، وتظهر صورته جلية في سخريتهم من الحجاب.

• قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لِرُؤُوسِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَنْهُنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ اللَّهُ

عَفُورًا رَّجِيمًا ﴿٥٩﴾ لَئِن لَّمْ يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ
وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا
قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تُقِفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا نَفْسِيًّا ﴿٦١﴾ ﴿الأحزاب﴾.

وسبحان الله! فما عادى حجاب المرأة المسلمة في كل زمان
وحتى في أيامنا هذه إلا واحد من هؤلاء الثلاثة الذين لعنهم الله
تعالى، وهم: المنافقون، والذين في قلوبهم مرض، والمرجفون.

(٣) تتبع عورات المسلمين:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ (النور).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا
اِكْتَسَبُوا فَقَدْ اِحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ (الأحزاب).

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْمِنْبَرَ، فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: { يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ،
وَلَمْ يُفِضِ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا
تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ،

وَمَنْ تَبَعَ اللَّهَ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ {، وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى الْبَيْتِ أَوْ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ: [مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكَ] (١).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: {إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرَّبَا الْإِسْطِطَالَةَ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ} (٢).

(٤) تعبير المسلمين:

كما في حديث ابن عمر السابق، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {.. وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، ...}. وهذه صفة لا تتفق مع الرجولة، ولا مع الكرامة. يلجأ إليها من ضَعْفَ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ، وَامْتِلَأَ حَقْدًا وَحَسَدًا وَغَلًّا. نَسَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى السَّلَامَةَ مِنَ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ وَالْأَفْعَالِ الْمَذْمُومَةِ.

(٥) اللَّمَزُ وَالْهَمَزُ:

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ

(١) أخرجه الترمذي: ك: البر والصلة، ب: ما جاء في تعظيم المؤمن، ح (٢٠٣٢)، وقال: حسن غريب، وابن حبان، ح (٥٧٦٣).

(٢) أخرجه أحمد، ح (١٦٥١)، وأبو داود: ك: الأدب، ب: في الغيبة، ح (٤٨٧٦)، وصححه الألباني.

يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ (التوبة).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٩) (التوبة).

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (١) (الهمزة).

(٦) البذاء:

عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْبِدَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ } (١).

والبداء: هو (الفحش) الذي لا يحبه الله، ولا يحبه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يحبه أهل الإيمان.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبِدِيءِ } (٢).

(١) أخرجه أحمد، ح (٢٢٣١٢)، والترمذي: ك: البر والصلة، ب: ما جاء في العي، ح (٢٠٢٧)، وقال: حسن غريب، والحاكم، ح (١٧)، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي: ك: البر والصلة، ب: ما جاء في اللعنة، ح (١٩٧٧)، وقال: حسن غريب، وابن حبان، ح (١٩٢)، والحاكم، ح (٢٩)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، ثم لم يخرجاه.

فالبذاء من اللؤم، حتى ولو كان للأموات.

والبيان: هو كشف ما لا يجوز كشفه، مثل: صفات الله تعالى، فإن إلقاء ذلك مجملاً إلى أسماع العوام أولى من المبالغة في بيانه، إذ قد تثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس (وهذه غاية المنافقين). فإذا أجملت اطمأنت القلوب ولم تضطرب.

وقد يكون البيان مقروناً بالبذاء، ويشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يستحيي الإنسان من بيانه، فإنه الأولى في مثله الإغماض والتغافل دون الكشف والبيان.

وقيل: إن البذاء يعني أيضاً عدم الغيرة.

عَنْ أَبِي مَرْحُومٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { الْغَيْرَةُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْبِدَاءُ مِنَ النَّفَاقِ }. قَالَ: قُلْتُ لَزَيْدٍ: وَمَا الْبِدَاءُ؟ قَالَ: « الَّذِي لَا يَغَارُ » (١).

وقد روي بلفظ { المذاء }، بدلاً من { البذاء }.

قَالَ الْحَلِيمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: « الْمِذَاءُ: أَنْ يَجْمَعَ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءَ ثُمَّ

(١) تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر، رقم (٤٩٠)، والسنن الكبرى للبيهقي (٢١٠٢٣).

يُخْلِئُهُمْ يُمَاذِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَأَخِذَ مِنَ الْمُدِّي، وَقِيلَ: هُوَ إِرْسَالُ الرَّجَالِ مَعَ النِّسَاءِ مِنْ قَوْلِهِمْ: مَدَيْتُ فَرَسًا إِذَا أُرْسَلْتَهَا تَرَعَى «(١)». وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ: «الْمَذَاءُ أَخِذَ مِنَ الْمُدِّي، يَعْنِي أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ، ثُمَّ يُخْلِئُهُمْ يُمَاذِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا مَذَاءً» «(٢)».

والمُدِّي: ماء لزوج يخرج عند المداعبة والتفكير في الشهوة. وهو من النجاسة التي يجب فيها غسل العضو منه. وليس فيه الغسل كالمني. وهنا بيان لصفيتين من صفات المنافقين، وآفتين من آفات النفاق هما: عدم الغيرة، والبذاء أو [المذاء].

وكلاهما عمل دنيء خسيس، لا يرضاه مؤمن طرق الإيمان قلبه، فالغيرة على الأعراض من الكرامة، وصفات الرجولة، لأن الشرف هو أئمن ما يملكه الإنسان في حياته، وهذه جبلة وفترة في الناس جميعًا. فالرجل المتمسك برجولته تجده مُصِرًّا على المحافظة على شرفه وعرضه.

لكن هناك طائفة من الناس لا ترضى لنفسها إلا دنيء العمل

(١) انظر: شعب الإيمان، للبيهقي، (١٣/ ٢٦٠).

(٢) انظر: السنن الكبرى، للبيهقي، ح (٢١٠٢٤).

وخسيس الخصال، وما يهدر الكرامة ويعم نفوسهم بالخزي والعار.

فلا يبالي إن خرجت زوجته أو ابنته مع السائق بمفردها، ولا يبالي إن سافرت بدون محرم لها، ولا يغار من اختلاطها بالرجال ومزاحمتهم في المواصلات والأعمال، أو عودتها في ساعات الليل المتأخرة، ولا تجده محافظاً حتى في بيته، فلا حذرَ عنده من الاختلاط. تلکم هي طائفة المنافقين.

أما أهل الإيمان فيأبى عليهم إيمانهم ذلك، ولا تسمح لهم كرامتهم بمثل هذا. فالمحافظة على الشرف، والتمسك به، والغيرة على النساء من صلب ديانتهم، ومنهج حياتهم. فالمرأة عندهم: عِرْضٌ يُصَانُ، وَيُرْحَمُ، وَيُكْرَمُ. [فما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم].



الصلة الحادية والعشرون

(الغيبه والنميمة وتقطيع الأرحام)

وهذه الآفة تتبع آفة إيذاء المؤمنين. ولكننا أفردناها لبيان مدى خطورتها في تقطيع أواصر الأسرة الواحدة.

والغيبه كما وردت في الحديث. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟ } قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: { ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُهُ } قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: { إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ } (١).

ولقد نهى الله تعالى المؤمنين عنها في قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ (الحجرات).

وقال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وضَعُوا خِلَافَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ (التوبة).

(١) أخرجه مسلم: ك: البر والصلة والآداب، ب: تحريم الغيبة، ح (٢٥٨٩).

قوله تعالى ﴿وَلَا تَوَضَّعُوا خَلْلَكُمْ﴾، أي بالنميمة، بغية إحداث الفتن وانقسام الصفوف، والوقية بين المؤمنين.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَدِّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { يُعَدِّبَانِ، وَمَا يُعَدِّبَانِ فِي كَبِيرٍ } ثُمَّ قَالَ: { بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ } (١).

وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (محمد). والخطاب موجه في هذه الآية للمنافقين.

﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾، قيل معناه: النكوث والتخلف عن الجهاد، وقيل: تولى أمور الناس، وتزعمهم.

فهذه الآية تدلنا على أن من أخلاق المنافقين: تقطيع الأرحام.

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { ثَلَاثَةٌ لَا

(١) أخرجه البخاري: ك: الوضوء، ب: من الكبائر ألا يستتر من بوله، ح (٢١٦)، ومسلم: ك: الوضوء، ب: الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، ح (٢٩٢).

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنٌ حَمْرٍ، وَقَاطِعٌ رَحِمٍ، وَمُصَدِّقٌ بِالسَّحْرِ} (١).

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: {لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ} (٢). قال سفيان: يعني قاطع رحم.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَلَا يُقْبَلُ عَمَلٌ قَاطِعٌ رَحِمٍ} (٣).



(١) أخرجه أحمد، ح (١٩٥٦٩)، وابن حبان، ح (٥٣٤٦)، والحاكم، ح (٧٢٣٤)، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه البخاري: ك: الأدب، ب: إثم القاطع، ح (٥٩٨٤)، ومسلم: ك: البر والصلة والأداب، ب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ح (٢٥٥٦).

(٣) أخرجه أحمد، ح (١٠٢٧٢)، وإسناده حسن.

الخصلة الثانية والعشرون

(الطمع في الدنيا، والزهد في الآخرة)

مُتْرَفُونَ، يعبدون الدنيا: لها يغضبون، وعليها يقاتلون، وإياها يطلبون، مشغوفون بالبهرج والزخرف، يهتمون بمظهرهم، بينما جوهرهم خراب، يتكالبون على المَغْنَمِ، وَيَتَّقُونَ المَغْرَمَ.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْغِطَنَّ فَإِنْ أَصَبَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٣﴾﴾ (النساء).

وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَدَدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ آسَاطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ (التوبة).

طمع في الدنيا، وحرص عليها، وبخل شديد، وحرص على ألا يضحوا بأي شيء في سبيل الإسلام والمسلمين.

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَابِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ (التوبة).

يعتبرون ما ينفقون في سبيل الله مغرمًا، فهم لا يؤدُّونه عن

عقيدة، ولكن رياء وتقية. وهم يَقْلُونَ عند الفزع، ولكن ما أكثرهم عند الطمع!

وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِنَأْخِذُوا بِهَا ذُرُوعًا وَنَنْعِمَ بِمُرِيدَاتِهَا أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالِ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسَدُونَكَ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ (الفتح).

والطمع في الدنيا والزهد في الآخرة يؤديان إلى:

(الأنانية)

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ يَسَخِطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (التوبة).

أنانية غريبة، يصفون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعدل ويرضون عنه إذا أعطاهم من الصدقات، وإذا لم يكونوا مستحقين وأعطى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كان في حاجة إليها عابوا عليه ذلك، وزعموا أنه غير عادل، منتهى الأنانية التي لا يُقَرُّها خلق ولا دين. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقْسِمُ قَسَمًا، آتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اعْدِلْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ}. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبُ عُنُقَهُ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {دَعُهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْفَرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ...} (١).

فنزلت: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ يَسْخَطُونَ﴾ (٥٨) (التوبة).

وفي رواية: {إِنَّ مِنْ ضِئْضِيِّ هَذَا، قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مَرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لِيَنْ أَدْرَكْتَهُمْ لِأَقْتُلْنَهُمْ قَتْلَ عَادٍ} (٢).

(١) أخرجه البخاري: ك: المناقب، ب: علامات النبوة في الإسلام، ح (٣٦١٠)، ومسلم: ك: الزكاة، ب: ذكر الخوارج وصفاتهم، ح (١٠٦٤).

(٢) أخرجه البخاري: ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى ﴿تَعْرُجُ الْمَلَكُوتُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، ح (٧٤٣٢)، ومسلم: ك: الزكاة، ب: ذكر الخوارج وصفاتهم، ح (١٠٦٤).

إنهم يحبون أنفسهم، ويغضبون من أجلها، ويرغبون في الاستئثار بالنفع دون غيرهم.
 إنها آفة من آفات النفاق، يتصف بها المنافقون، ومن اتصف بها من غيرهم فقد اتصف بآفة من آفات النفاق، وعليه أن يتخلص منها، ويطهر قلبه من إثمها وشرورها.



الخصلة الثالثة والعشرون

(الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف)

قال تعالى: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بِضُئُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
 بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ
 فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة).

صنف خبيث من الناس يتقن، بل ويتفنن في تلك الأساليب الشيطانية، لصرف الناس عن الخير، وحضهم على فعل المنكر، ذلك نهج حياتهم، وأعجب من ذلك، أنهم زينوا لكثير من المسلمين ذلك، فوقع في هذا الإثم من أصابتهم الغفلة، واستولى عليهم البله، وجنت عليهم السداجة.

إنهم لا يتخيلون أي معروف إلا ونهوا عنه، وحاولوا الحيلولة

بين فعله وبين المؤمنين.

راقبوا المساجد، وشددوا الحصار على ما يُقال فيها، بينما لم يستطيعوا - عفواً - لم يفكروا فيما يدور في البيع والأديرة والكنائس، ولا يجرعون على ذلك.

منعوا حكم الله تعالى، وشوهوا صورته، وحالوا بين الناس والوصول إليه. حاربوا الحجاب، وباركوا التبرج والسفور. حاربوا الفضيلة، وشجّعوا اللهو والرقص والاختلاط. دافعوا عن الربا، وحاربوا كل اقتصاد يقوم بنيانه على تقوى من الله تعالى...

إن الشياطين لم يكتفوا بوقوعهم في الإثم، وانغماسهم في الشرّ والشهوات، بل دَعَوْا وتمنَّوا أن يقع المسلمون في الإثم مثلهم، ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (النساء: ٨٩).

وهي صفة تسقط عنهم خيرية الأمم، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة ملازمة لأهل الإيمان من خير أمة أخرجت للناس، فهم على النقيض تماماً، ويظهر ذلك جلياً في محاربتهم وسخريتهم من كل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويريدونها حرة وإباحية.

الخصلة الرابعة والعشرون

(الريبة والشك في الدين، والافتنان بالمعاصي
واللذات)

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمْ مِنْ تُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُمْ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرِيضُونَ رُءُوسَكُمْ وَعِرْقُكُمْ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَزَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾﴾ (الحديد).

قوله: ﴿وَأَرْتَبْتُمْ﴾. الريبة والشك في الدين دأب المنافقين، فحالت بينهم وبين رحمة الله تعالى يوم القيامة.

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: « الْمَرَضُ نَوْعَانِ: مَرَضُ الْقُلُوبِ، وَمَرَضُ الْأَبْدَانِ، وَهُمَا مَذْكُورَانِ فِي الْقُرْآنِ.

وَمَرَضُ الْقُلُوبِ: نَوْعَانِ: مَرَضُ شُبْهَةِ وَشَكٍّ، وَمَرَضُ شَهْوَةِ وَغِيٍّ، وَكِلَاهُمَا فِي الْقُرْآنِ. قَالَ تَعَالَى فِي مَرَضِ الشُّبْهَةِ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (البقرة).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا

مثلاً ﴿ (المدثر: ٣١) .

وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ مَنْ دُعِيَ إِلَى تَحْكِيمِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، فَأَبَى
وَأَعْرَضَ: ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾
وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ
يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ (النور)، فهذا
مرضُ الشُّبُهَاتِ والشُّكُوكِ.

وأما مرضُ الشَّهَوَاتِ، فقال تعالى: ﴿ يَلِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتَنَّا كَأَحَدٍ
مِّنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَيْتَنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا
مَّعْرُوفًا ﴿٣٣﴾ (الأحزاب). فهذا مرضُ شَهْوَةِ الزَّنى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ﴿١﴾.

وفي الآيتين المذكورتين من سورة الحديد (١٣-١٤) يتساءل
المنافقون عما وضعوا فيه من عذاب، بينما يرون المؤمنين في رغد
ونعيم. يسألونهم في دهشة: ألم نكن معكم؟! فيكون الجواب:
بلى.. ولكنكم فتنتم أنفسكم.

أي: فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات. وقال
بعض المفسرين: أي فتنتم أنفسكم بنفاقكم.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ

إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١١٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١١٥﴾ أُولَٰئِكَ يَرْوُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١١٦﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١١٧﴾﴾ (التوبة).

كان المنافقون إذا أنزلت سورة، يسأل بعضهم بعضًا (أيكم زادته هذه إيمانًا)؟ ولقد تولى الله تعالى الرد عليهم بقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١١٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ (ضعف ونفاق) فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾. رجسًا: شكًا وريبة.



الخصلة الخامسة والعشرون

(الغُرُورُ بِالْأَمَانِيِّ)

قال تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (الحديد). ١٤

وهذا مرضٌ عُضالٌ، وداءٌ مُسْتَشَرٌّ في الأمة: الغرور بالأمانِيِّ، وظاهرة الإرجاء في العالم الإسلامي.

والغرور بالأمانِيِّ، كأن يزعم المرء أنه سيغفر له، وأنه ممن يقول (لا إله إلا الله) فيصرفه ذلك عن الإنابة والتوبة والاستقامة.

أو يتوهم أن عمره سوف يطول؛ فيرجى التوبة ويسوّف فيها.

أو تلهيه دنياه عن طاعة الله تعالى، ويصرفه ماله وجاهه عن جادة الصواب، ويحسب أن ذلك سوف يكون له بمنجاة من العذاب، وأن الله تعالى لن يسوّيه بالفقراء وأعداء الدين الذين لا يتورّعون في الصدّ عن سبيل الله، ومحاربة الصالحين، وموالاته أعداء الله ورسوله، وهم في نفس الوقت يكيلون التهمة تلو التهمة، والبدعة تلو البدعة لعلماء الأمة، والدعاة والواعظين،

وقد يرمون بعضهم بالخوارج، ويشجعون ظلمة الحكام على معاداتهم ومحاربتهم.

نصّبوا أنفسهم حُكَّامًا وقضاة على العباد، وكثير منهم ما فعل ذلك إلا نفاقًا وحسدًا وطمعًا، وإرضاء لطائفة من أصحاب المصالح، وطلبة العلم لديهم.

تلك عقليات المترفين، وذلك تفكير المخدوعين.. وفكر أهل الإرجاء في القرن العشرين.

ويروى عن الحسن أنه قال: « لَيْسَ الْإِيْمَانُ بِالْتَمَنِّيِّ وَلَا بِالْتَّحَلِّيِّ، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَقَهُ الْعَمَلُ » (١).



(١) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعظيم آبادي (١٢ / ٢٩٤)، وشرح رياض الصالحين لابن عثيمين، (١ / ٥٠٩).

الخصلة السادسة والعشرون

(الإكراه على البغاء)

قال تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَئِيتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ مَخْصَنًا لِيَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور).
 عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: [كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنْتِ سَلُولٍ يَقُولُ لِجَارِيَةٍ لَهُ: اذْهَبِي فَابْعِينَا شَيْئًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَئِيتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ...﴾ (١). أي يُكْرِهَهَا عَلَى الزَّانَا لِتَأْتِي لَهُ بِالْمَالِ.

وفي رواية عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: [كَانَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَارِيَةٍ تَزْنِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا حُرِّمَ الزَّانَا، قَالَ: أَلَا تَزْنِينَ؟ قَالَتْ: لَا، وَاللَّهِ لَا أَزْنِي أَبَدًا، فَنَزَلَتْ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَئِيتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ...﴾ (٢).

وهذا عمل تأبى الإقدام عليه أصحابُ النفوس الكريمة، وتعافه القلوب المؤمنة.

(١) أخرجه مسلم: ك التفسير، ب: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَئِيتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ...﴾، وهذا عمل تأبى الإقدام عليه أصحابُ النفوس الكريمة، وتعافه القلوب المؤمنة، ح (٣٠٢٩).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، رقم (١١٧٤٧).

أما المنافقون فَشأنٌ آخر. فهم يَسْتَمِرُّونَ الفجور والحنا، فإن كان الزواج الحلال والعفاف من شُعب الإيمان، فإن ما يُقابله من الدعارة والزنا، وحب إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا من شُعب النِّفاق والضلال.

إن سجلَّ العار والرذيلة والخزي والفضيحة للمنافقين وأمثالهم مليء عبر التاريخ، وحتى يومنا هذا.

انظر إلى حفلاتهم ومناسباتهم، وما فيها من العُري والرقص والمجون، مما تشمئز منه النفوس المؤمنة، وتنفّر منه الأرواح السّامية. والإكراه على البغاء عمل بشع لا تقدم عليه إلا أصحاب النفوس الوحشية. وهل حوت الأرض وحشية بقدر ما حوته قلوب المنافقين؟!.



الخصلة السابعة والعشرون

**(لا يجاهدون لرفع راية الإسلام، ولا تنضعهم عبادتهم
ولا قراءتهم للقرآن)**

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، قَالَ: «كَانَ فِينَا رَجُلٌ أَتَى لَا يُدْرَى مِمَّنْ هُوَ، يُقَالُ لَهُ: قُرْمَانٌ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ، إِذَا ذُكِرَ لَهُ: {إِنَّهُ لِمِنَ أَهْلِ النَّارِ}، قَالَ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمٌ أُحِدِ قَاتِلٌ قِتَالًا شَدِيدًا، فَقَتَلَ وَحْدَهُ ثَمَانِيَةَ أَوْ سَبْعَةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ ذَا بَأْسٍ، فَأَثَبْتَهُ الْجِرَاحَةَ، فَاحْتُمِلَ إِلَى دَارِ بَنِي ظَفَرٍ، قَالَ: فَجَعَلَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُونَ لَهُ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَبْلَيْتَ الْيَوْمَ يَا قُرْمَانُ، فَأَبْشِرْ، قَالَ: «بِمَاذَا أَبْشِرُ؟ فَوَاللَّهِ إِنْ قَاتَلْتُ إِلَّا عَنَ أَحْسَابِ قَوْمِي، وَلَوْ لَا ذَلِكَ مَا قَاتَلْتُ». قَالَ: فَلَمَّا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ جِرَاحَتُهُ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، فَقَتَلَ بِهِ نَفْسَهُ» (١).

وقد كان قُرْمَانٌ هذا من المنافقين.

إن المنافق قد يكون شجاعاً. ولكنها شجاعة ليس لله تعالى فيها نصيب، ولا تمحو ما اتصف به من النفاق.



عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا، أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اعْدِلْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ}. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبَ عُنُقَهُ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {دَعُهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْفَرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ...} (١).

وفي رواية: {إِنَّ مِنْ ضِعْضِعِي هَذَا، قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مَرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لِيُنْ أَدْرَكْتَهُمْ لِأَقْتَلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ} (٢).

(١) أخرجه البخاري: ك: المناقب، ب: علامات النبوة في الإسلام، ح (٣٦١٠)، ومسلم: ك: الزكاة، ب: ذكر الخوارج وصفاتهم، ح (١٠٦٤).

(٢) أخرجه البخاري: ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى ﴿تَرَجُّعُ الْمَلَكَةِ وَالرُّوحِ إِلَيْهِ تَرَجُّعُ الْمَلَكَةِ وَالرُّوحِ إِلَيْهِ﴾، ح (٧٤٣٢)، ومسلم: ك: الزكاة، ب: ذكر الخوارج وصفاتهم، ح (١٠٦٤).

وفي هذا الحديث دليل على أنهم يعبدون الله ﷻ فيما يبدو للناس عبادة قوية، ولكن نفوسهم انطوت على الشرِّ، وامتلات قلوبهم كيداً وفتنة. وكم من مُصَلٍِّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه.



الخصلة الثامنة والعشرون

(الجهل وقلة الفقه، وسوء القصد)

وقد صفهم الله تعالى بالجهل وقلة الفقه. قال تعالى: ﴿فَطَبَعَ عَلَىٰ

قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوْنَ﴾ (٣) (المنافقون)، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ

لَا يَفْقَهُوْنَ﴾ (١٣) (الحشر).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

{خَصَلْتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ، حُسْنُ سَمْتٍ، وَلَا فِقْهٌ فِي الدِّينِ} (١).

فالمنافق سيئ القصد، جاهل في الدين، والفقه في الدين

وحسن النية والقصد لا يجتمعان في منافق، وكم من منافق عليم

اللسان سخر علمه وقلمه ولسانه لسوء قصده وخبث طويته،

(١) أخرجه الترمذي: ك: العلم، ب: فضل الفقه على العبادة، ح (٣٦٨٤)، وقال: حديث غريب، وصححه الألباني.

لمحاربة دين الله، وتحليل ما حرّم الله، وتحريم ما أحل الله. لذلك قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلِّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ } (١).



الخصلة التاسعة والعشرون

(ثقافة العداء مع شعائر الإسلام وسننه)

قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنْبِهٍ: « صِفَةُ الْمُنَافِقِ: تَحِيَّتُهُ لَعْنُهُ، وَطَعَامُهُ سُحْتٌ، وَغَنِيمَتُهُ غُلُولٌ، صَخَبٌ بِالنَّهَارِ، خَسْبٌ بِاللَّيْلِ » (٢).
وقد سبق الحديث عن مسجد الضرار، وكراهيتهم للحجاب، واللحية، والجهاد في سبيل الله.

أضف إلى ذلك: كراهيتهم للغة العربية، والتاريخ الهجري، والاقتصاد الإسلامي الذي لا يعتمد على الربا والاحتكار، واتهامهم المسلمين الصالحين بالتشدد والإرهاب، واعتبار المفرطين في دين الله عدوًّا ووسطيين، دينهم المصلحة، معروفون بلحن القول.



(١) سبق تخريجه، ص (٤١).

(٢) صفة النفاق وذم المنافقين، رقم (٥٨)، ص (٩٩).

الخصلة الثلاثون

التبرج والخلع في النساء

أولاً: التبرج:

عَنْ أَبِي أُذَيْنَةَ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوُدُودُ الْوُلُودُ الْمُوَاتِيَّةُ الْمُوَاسِيَّةُ، إِذَا اتَّقَيْنَ اللَّهَ، وَشَرُّ نِسَائِكُمُ الْمُتَبَرِّجَاتُ الْمُتَخِيلَاتُ وَهِنَّ الْمُنَافِقَاتُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ، إِلَّا مِثْلُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ } (١).

فالتبرج صفة من صفات الجاهلية الأولى.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْرَجْنَ تَبْرُجُ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (الأحزاب: ٣٣).

والتبرج: هو إظهار العورة والزينة أمام الرجال الأجانب (غير المحارم)، وهو التفتن في إبداء الزينة، بارتداء الضيق من الملابس، أو الشفاف منها، أو ما يلفت الأنظار، أو لباس الشهرة. ونحن نشاهد الآن في هذه الأيام أسوأ وأقبح صور التبرج والسفور، وكيف صدق إبليس ظنّه على كثير من المسلمات اليوم بما يُسمّى: حجاب التبرج، أو تبرج الحجاب. فالتبرج ترتدي مثل

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ح (١٣٤٧٨)، وصحّحه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح (١٨٤٩).

هذا الزيِّ رياء الناس، ولنيل ثنائهم وإعجابهم، والحرص على إرضائهم، ضاربة برضا الخالق الرحمن القهار عرض الحائط هُوَ دربٌ من دروب النِّفاق. وشتانَ بين زيِّ المرأة المسلمة من جلباب وخمار، وزيِّ المسلمات اليوم، ولكنها السُّنن ليميز الله تعالى الخبيث من الطيب.

ثانياً: الخلع؛

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { الْمُخْتَلَعَاتُ وَالْمُنْتَزِعَاتُ هُنَّ الْمُنْفِقَاتُ } (١).

والخلع: هو إزالة ملك النكاح بعوض أو بمقابل مال.

وهو نوعان:

الأول: الخلع الجائز: وذلك في حالة وجود سبب شرعي يقتضيه، كأن يكون الرجل مَعيباً في خَلْقِهِ أو خُلُقِهِ، أو يُؤذي الزوجة، وتحاف المرأة ألا تقيم معه حدود الله، فيما يجب عليها من حسن الصحبة وجميل المعاشرة.

والخلع المنوع: هو الذي ليس له سبب شرعي يقتضيه، ووصفه بالنِّفاق: لأنه تنكَّر للمعروف والعشرة، والوفاء بالعهد بين الزوجة وزوجها.

(١) أخرجه أحمد، ح (٩٣٥٨)، والترمذي: ك: الطلاق، ب: ما جاء في المختلعات، ح (١١٨٦)، والنسائي: ك: الطلاق، ب: ما جاء في الخلع، ح (٣٤٦١)، وصحَّحه الألباني.

وأختم هذا الباب (آفات النفاق وخصال المنافقين) بقول د.
محمد موسى آل نصر:

« عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: [إِنَّ الْمُنَافِقِينَ الْيَوْمَ شَرُّ مِنْهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانُوا يَوْمَئِذٍ يُسِرُّونَ، وَالْيَوْمَ يَجْهَرُونَ] (١).

هذا كلام خبير عالم بأحوال المنافقين، كيف لا وحذيفة (راوي الحديث) هو أمين سر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعنده أودع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسماء المنافقين. فإذا كان من أدركهم من المنافقين بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرًّا ممن أخبر بهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فماذا يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لو أدرك منافقي زماننا؟!!

فإذا كان النفاق سرًّا في الناس زمن أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أفلا يستفحل خطره ويستشري ضرره زمن الفتنة، والطواغيت، وغربة الدين؟!!

وكلما ازدادت غربة الدين وقلَّ أنصاره كثر النفاق - والعياذ بالله -

(١) أخرجه البخاري: ك: الفتن، ب: إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه، ح

ولكن النفاق اليوم اتخذ أشكالاً منظمة، على شكل مؤسسات ونوادٍ وأحزاب وحركات... غيّرت من أسمائها: لتضليل الناس.

وما الليبرالية والعلمانية والحداثة، والروتاري والليونز، والمؤسسات التي تدعى الإنسانية والرحمة على الإنسان والحيوان إلا امتداد لسرطان النفاق الذي تدعمه دول تُدعى عظمى بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، وإنما هي مؤسسات يهودية تريد سلخ الأمة من دينها وهويتها، لتعمل على خدمة يهود والتمكين لهم. فاللهم سلِّمْ - سلِّمْ.

فالنفاق قد عمَّ وطَمَّ، وشمل السهل والوادي، وقلَّمَا يخلو منه مجتمع أو نادٍ، لذلك وجب بيان خطره، وتحذير الأمة منه، لأن أشد أعداء الأمة الإسلامية، وأخطرهم عليها هم: المنافقون. الذين يتلوّنون حسب البيئة، يظهرون بمظهر الأخ المشفق، وهم ذئاب في جلد بني الإنسان، يحسبهم الضمآن ماء، يظنهم المؤمن عوناً له، وهم عوناً عليه، يحسبهم له ناصحون، وهم على عتته وهلاكه وتدميره ساعون» (١).



وقفة

ملخص صفات المنافقين

[إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اتّمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا غنم غلّ، يعبد هواه، يُبغض السنّة ويسخر منها، شحيح، جبان، يثبّط العزائم، عليم اللسان، يقول ما لا يفعل، مجادل، مرآءٍ بعمله وقوله، صخب بالنهار، خشب بالليل، يصف الإسلام ولا يعمل به، يُبغض المؤمنين ويحبُّ الكافرين، ذو وجهين، مشغوف بالبهرج والزخرف، يهتمُّ بمظهره، وجوهه خراب، يتخلف كثيراً عن صلاة الجماعة، لا يُحب المكوث في مدينة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُفتن في قبره، وينقطع نوره على الصراط، ينفر من دعوة الحق وسماع الموعدة، صاحب بدعة.

في قلبه مرض ، قلبه منكوس ، يأتي بالإفك من القول .
يجب الرئاسة ، والشهرة والظهور ، دينه المصلحة ، معروف
بلحن القول ، يفضل الدنيا على الآخرة ، حيران ، سكران ،
ليس من اليهود ولا من النصارى ولا من المجوس ، يعتبر
التمسك بالإسلام تشدداً ، والتفريط فيه وسطية واعتدالاً ، هو
من النفاق آمن ، وليُّ الله تعالى في العلانية ، عدوُّ له في السرِّ ،
أساء الظن بربه فأساء العمل ، كثير الكلام قليل العمل ، يبيع
دينه بعرض من الدنيا قليل .

(اللهم إني أعوذ بك من خشوع النفاق)

وخشوع النفاق: أن يرى البدن خاشعاً، والقلب ليس بخاشعٍ .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ

لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ (النساء) .